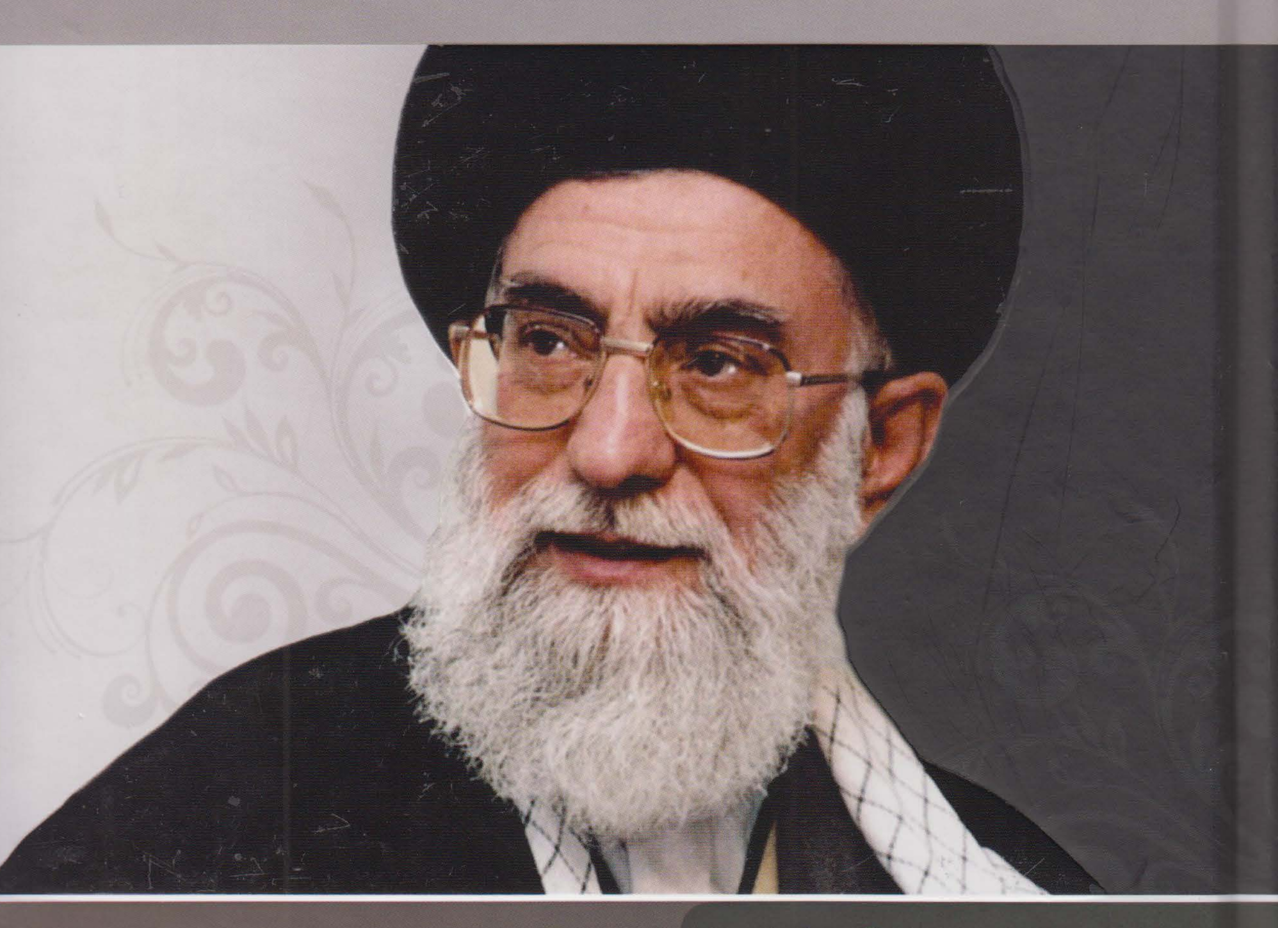
الإمام الخامنئي (دام ظله)

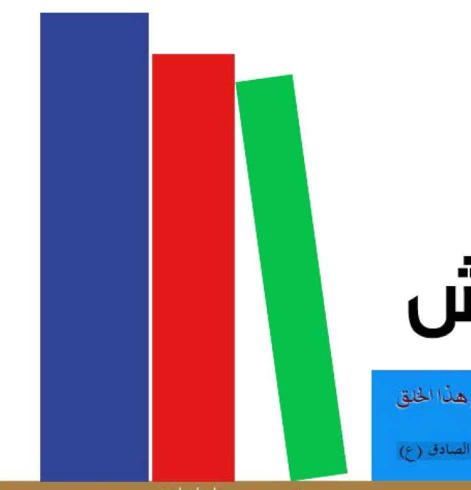
ورؤاه المعاصرة



■ الإرهاب ■ العولمة ■ التبليغ
■ الاصولية ■ العلمانيّة ■ الصّهيونيّة
■ الغزو الثقافي ■ الحريّة ■ الإسلام الأصيل

الشيخ
توفيق حسن علويّة

قدّم لـه
الأستاذ الفاضل سماحة الشيخ أكرم بركات



مكتبة
مؤمن قريش

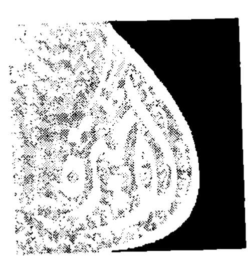
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .

الإمام الصادق (ع)


(دام ظله)
الإمام الخامنئي

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨

http://www.Dar-Alamira.com

e-mail:info@dar-alamira.com

الإمام الخامنئي (دام ظله)
ورؤاه المعاصرة

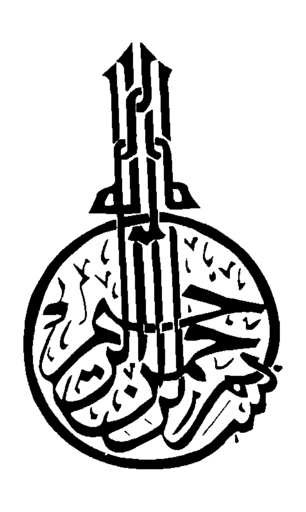
تأليف

الشيخ توفيق حسن علوية

قدم له

الأستاذ الفاضل سماحة الشيخ أكرم بركات العاملي

الأميرة
للطباعة والنشر والتوزيع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين وبه نستعين والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله الأطهرين الأعلمين الأعظمين الأكرمين لا سيما بقية الله الأعظم مكن الله له في الأرض خير تمكين.



الإهداء

إلى ذاك الشامخ في علياء التقى والزهد، والقابع في جنة العرفان، والساكن في فردوس الرحمٰن...

إلىٰ شوق قلوب المجاهدين الربانيين وسلسبيل المؤمنين، وهزّام الكفار والمنافقين الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره الشريف...

إلى ذاك العظيم في غيابه كما في حضوره، والحائز على وسام الشهادة في غياهب سجنه، والعملاق في سجون الأقزام، والهادر طهراً وفداءً وإيثار، الإمام المغيب السيد موسى الصدر أعاده الله سالماً غانماً...

إلى ذاك الهازء بجموع المستكبرين، والناهض بوجه كل عتل زنيم الشهيد السعيد الحجة الشيخ راغب حرب عليه الرحمة والرضوان...

إلى ذلك المدوّي بالحق الصراح في ظلمة الباطل، وعتمة النفاق، والممتشق سيف الملائكة والصديقين والشهداء، والصاعد من الأرض المباركة الشاهدة إلى السرادق النورية في عالم الشهود الشهيد السعيد الحجة السيد عباس الموسوي عليه الرحمة والرضوان...

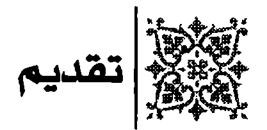
إليك أيها العالم الخراساني، والعلم الرباني، ونبض الأمة

وعنفوان المظلومين والمستضعفين الإمام علي الحسيني الخامنئي دام ظله الشريف. . .

إلى كل هؤلاء العظام وإلى المعصومين عليهم الصلاة والسلام أهدي هذا السفر راجياً من الله عز وجل القبول.

المؤلف

* * *



تقديم

تفضل به علينا سماحة الأستاذ العلامة الشيخ أكرم بركات العاملي حفظّه الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على أشرف الخلق محمد وآله الطاهرين.

انطلاقاً من الإيمان بالربوبيّة التشريعيّة الشاملة لله تعالى، ينطلق المؤمن في كلّ خطوة في مسيرة حياته من المعرفة الواعية بحكم الله فيها، وهذا الأمر قد يكون غير عسير في أحكامه الفرديّة حينما يرجع إلى الفقيه الجامع للشرائط ليتبعه في تحديد الأحكام الشرعيّة الإلٰهيّة، لكن يبقى أمر في غاية الأهمية يسبّب اتباعه تطوّراً في مسيرة المؤمنين وعدمه تراجعاً فيها ألا وهو معرفة الحكم الإلهي في مسارات الحياة العامة على المستويات السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، التي لا تكفي فيها فقاهة الفقيه وإن كانت في غاية الأهميّة، بل لا بدّ من صفات أساسيّة فيها تتمّثل بمعرفة واعية للزمان والمكان بما تؤهّله لقيادة الأمة نحو برّ الأمان بعد أن يحدّد لها خارطة طريق ينجيها من براثن الأعداء وشركهم.

فما بالك بإنسان عاش في بلد يواجه فيه المستكبرون المستضعفين، وهو يريد أن يحدّد موقفه الذي يبرِّىء ذمته عند الله تعالى، فهل واجبه الدفاع عنهم مع لحاظ خصوصياتهم التي قد يتأنّى الناظر فيها، أو يقف حيادياً وقد يكون حياده شرك شيطان، فإذا كان وعيه الخاص لا يشكّل له يقيناً يستند إليه في تحديد الموقف الشرعي فماذا يفعل؟! إنه واقف بين محذورين يتعذّر بينهما الاحتياط.

هنا تأتي نعمة وجود الفقيه الولي الذي يحدِّد للأمة اتجاهها ومسارها وما يجب أن تقوم به بما يضيء درب الأمّة في تكاملها نحو الله تعالى كما يتكامل الفرد في سيره وسلوكه نحوه.

إنّ تأمّل المشهد السابق لا سيما حينما نقرنه بتاريخ مضى يضعنا أمام نعمة العصر الذي عشنا، ونعيش في ظلّ ولاية الفقيه العادل الإمام الخميني (قده)، وظلّ ولاية الفقيه العادل بعده الإمام الخامنئي (مدّ ظله الشريف) والذي يتمتّع بلياقات قلّ نظيرها في التاريخ والحاضر شهد بها القريب والبعيد، فأستاذه الخميني (قده) يقول عنه:

«لن تستطيعوا أن تجدوا شخصاً يحمل صفات السيد الخامنئي، ووصفه بالفهيم العليم المتحدّث العالم بالدين والسياسة».

واعتبره آية الله العظمى بهاء الديني «ذخيرة إلهيّة ادخره الله لما بعد الإمام»، وقال فيه كوفي أنان (الأمين السابق للأمم المتحدة).

«هو وحده لائق لأن يكون أميناً عاماً للأمم المتحدة، ليس هناك أي أمّة في العالم لديها مثل القائد الذي لديكم، إنّه أعظم قائد عرفته».

ونشرت مؤسسة كاربنغي الأميركية للسلام دراسة أكّدت أنه لن يضاهي

الإمام الخامنئي أحد في العالم.

أمام هذه النعمة ما أجمل وأفيد أن ينبري أهل العلم للإضاءة على أفكار هذا الإمام العظيم وشرح المسارات التي وجّه الأمة باتجاهها وشرح الرؤى الأساسيّة التي لا بدّ أن تراعيها الأمة في حركتها سواء الثقافيّة منها أو التبليغيّة أو فيما يتعلق بالنظرة إلى عدوّ الأمة، وهذا ما قام به الأخ العزيز العالم الفاضل الشيخ توفيق علوية في هذا الكتاب ليكون مناراً يهدي به التواقين إلى نهج الولاية والدين.

أسأل الله تعالى أن ينفعهم به وأن يكون ذخراً لمؤلفه الكريم يوم القيامة إنه سميع مجيب الدعاء.

أكرم بركات

بيروت ربيع الثاني ١٤٣٠

نيسان ٢٠٠٩

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الأطهرين لا سيما بقية الله الأعظم مكن الله له خير تمكين.

هذه بعض المقالات جمعها مغزى واحد يدور حول «الثقافة والسياسة» مما له علاقة بالإسلام والمسلمين ومنهما إلى الإنسان والإنسانية.

وكنت قد كتبت هذه المقالات في بعض المجلات الفكرية، ولما وجدت أنها تستحق أن تجمع في سفر واحد فإني شمّرت عن ساعد الجد والقيتها في جب يوسف عليه السلام علّها تستدعي فضول بعض السيارة في عالم الفكر والمعرفة فيشترونها بثمن بخس؛ ومن ثمّ تكون عند الله عز وجل تجارة لا تبور.

وقد قسمنا البحث إلى ثلاثة فصول بعضها أكبر من بعض، ففي الفصل الأول تحدثنا عن الغزو الثقافي، وفي الفصل الثاني تحدثنا عن الصهيونية، وفي الفصل الثالث تحدثنا عن التبليغ وآلياته.

وقبل ذلك قمنا بكتابة سيرة الإمام الخامنئي دام ظله تماشياً مع

عنوان الكتاب، وأنا العبد الفقير الأدون توفيق حسن علوية اشكره تعالى على نعمه المتكثرة والتي منها إنقاذ أوراق هذا الكتاب هذا الكتاب من تحت الردم الذي أحدثه العدوان الصهيوني في حرب تموز ٢٠٠٦م.

نسأل الله عز وجل أن يجعل خاتمتنا خيراً يوم يكون الملك لله الواحد القهار.

توفيق حسن علوية العاملي

غفر الله له ولوالديه

الضاحية الجنوبية ـ الرادوف في

١ ـ ١ ـ ٢٠٠٢م

مدخل

«الثقافة والسياسة» توأمان لا يغادر أحدهما الآخر، فهما مرتبطان ببعضهما البعض لأنهما نتاج رحم واحد هو «الإسلام».

وإن كان ثمة تشكيك في الماضي بتوأمتهما فإن العصر الراهن ثبّت هذه المقولة؛ سيما وأن أرباب السياسة السلطوية المنحرفة جيّروا كل شيء في هذه الحياة لخدمة حروبهم مع الآخرين، ومن أهم الأدوات المجيّرة لحروب الآخرين «الثقافة».

وفي الماضي غير البعيد كانت الحروب حروب «حصون»، فمن يحتل الحصن ويفتح أسوار المدينة يسمى «فاتحاً»، بينما في هذه الأيام فإن الحروب حروب «عقول وأدمغة»، و«اقتصاد» و«إعلام وشائعات»، فمن يمتلك مفاتيح «الإعلام»، ومن يهيمن على الجامعات و«الاقتصاد»، ومن يحرّك عقول الناس، ويملك زمام قلوبهم، ويسيطر على مشاعرهم ويؤثر فيهم هو الذي ينتصر وتكون له الغلبة من دون جيوش وجحافل.

على أن هذا الأمر مما يتعقله كل واعٍ يُعمل فكره بجدية في هذه الأيام، فكيف بقائد المسلمين وولي أمرهم إذ أنه يحيط بكل ما يُحاك ويدبر من قبل المستكبرين من جهة، ويلم بمقدرات وطاقات المسلمين

من جهة أخرى.

وهذا الوصف لقائد المسلمين لا يجري مجرى المديح والإطراء ـ وإن كان أهلاً لذلك ـ كما دأبت أقلام وألسن المجارين للدكتاتوريين في العالمين العربي والإسلامي؛ بقدر ما هو وصف واقعي ودقيق لقائد المسلمين.

فالقائد الأعلى للمسلمين أحسن توصيف الواقع الثقافي والسياسي عبر رؤاه الحساسة والدقيقة، ونبّه إلى المحاذير التي سوف تطرأ على المسلمين فيما لو لم يُصار إلى مواجهة المخططات الثقافية والسياسية المدمرة للاستكبار العالمي.

على أنه دام ظله أعطى إرشاداته القيّمة في كيفية استغلال الطاقات والقدرات الموجودة عند المسلمين من جهة، وفي كيفية إدارة الصراع مع الاستكبار العالمي من جهة أخرى.



الموجز الجلي من سيرة القائد الولي(*)

هو السيد علي ابن السيد جواد الحسيني الخامنئي، ولد عام ١٩٣٩ ميلادي، بمدينة مشهد المقدسة في عائلة علمية محافظة ومحترمة.

والده آية الله السيد جواد، أحد مجتهدي وعلماء مشهد الموقرين[1]، وجده هو آية الله السيد حسين الخامنئي أحد علماء أذربيجان.

أما والدته حفظها الله فهي كريمة حجة الإسلام السيد نجف آبادي وهو من علماء مشهد[2].

كانت طفولته حفظه الله سائرة ضمن الرعاية الأبوية الشفيقة، والاهتمام الأمومي الرحيم رغم الإمكانيات المادية الصعبة.

ونترك الحديث عن طفولته حفظه الله إليه حيث يقول:

«لقد قضيت طفولتي في عسرة شديدة خصوصاً أنها كانت مقارنة لأيام الحرب، وعلى الرغم من أن مشهد كانت خارجة عن حدود

(*) راجع كتابنا الوجيز من سيرة الإمام الخميني (قدس).

(١) توفي عام ١٤٠٦ هجري وكان عمره حين وفاته ٩٣ سنة.

(٢) وافتها المنية عن عمر يناهز الـ ٧٦ سنة.

الحرب، وكان كل شيء فيها أكثر وفوراً وأقل سعراً نسبة إلى سائر مدن البلاد، إلاّ أن وضعنا المادي كان بصورة بحيث لم نكن نتمكن من أكل خبز الحنطة، وكنا عادة نأكل خبز الشعير، وأحياناً خبز الشعير والحنطة معاً، ونادراً ما كنا نأكل خبز الحنطة.

إنني أتذكر بعض ليالي طفولتي حيث لم يكن في البيت ما نأكله للعشاء، فكانت والدتي تأخذ النقود التي كانت جدتي تعطيها لي أو لأحد إخواني أو أخواتي أحياناً، وتشتري بها الحليب أو الزبيب لنأكله مع الخبز.

لقد كانت مساحة بيتنا الذي ولدت فيه وقضيت حوالي خمس سنوات من عمري فيه (٦٠ ـ ٧٠ متراً) في حي فقير بمشهد وفيه غرفة واحدة وسرداب مظلم وضيق.

وعندما كان يحل علينا ضيف؛ وبما أن والدي كان عالماً ومرجعاً لشؤون الناس، فكان دائم الضيوف، كان علينا الذهاب إلى السرداب حتى يذهب الضيف، وبعد فترة اشترى بعض المريدين لوالدي قطعة أرض بجوارنا وألحقوها ببيتنا فاتسع البيت إلى ثلاث غرف.

ولم يكن ملبسنا أفضل من ذلك، فقد كانت والدتي تخيط لنا ملابس والدي القديمة شيئاً عجيباً وغريباً، كان لباساً طويلاً يصل إلى أسفل الركبة يحتوي على عدة وصلات، طبعاً يجب أن يقال إن والدي لم يكن يغير ملابسه بهذه السرعة، فعلى سبيل المثال بقي أحد ملابسه بلا تغيير لمدة أربعين عاماً»[١].

---

(١) مختصر شمس الولاية، ٣٦.

وأما بصدد دراسته حفظه الله، فقد مرت فترة دراسته في المراحل الآتية:

- دخل سماحته بمعية أخيه الأكبر السيد محمد الكتاتيب لتعلم القرآن.

- بعد مدة التحق بمعية أخيه السيد محمد أيضاً إلى مدرسة دينية ابتدائية (دار التعليم الديني) التي لم يكن لها صلاحية إعطاء شهادات رسمية، وأكمل فيها سماحته المرحلة الابتدائية.

- بعد إنهاء المرحلة الابتدائية (دار التعليم الديني)[١] دخل سماحته في المدرسة الحكومية وحصل على الشهادة المتوسطة وبالطبع دون علم والده.

- بعد حيازته الشهادة المتوسطية أنهى سماحته الدراسة الثانوية خلال سنتين وحصل على الشهادة الثانوية، وبالطبع دون علم والده.

هذه هي خلاصة دراسته الأكاديمية، أما عن دراسته الدينية حفظه الله فقد كانت كالآتي:

- درس شرح القواعد العربية في المدرسة الابتدائية (دار التعليم الديني).

- قرأ (شرح الأمثلة) عند والدته الفاضلة.

- درس كتاب (صرف مير) وكتاب (التصريف) عند والده.

---

(١) تأسست هذه المدرسة الابتدائية بجهد خاص من المؤمنين وكانت تهدف إلى تعليم الأبناء مع المحافظة على تدينهم.

ـ درس (العوامل) و(الأنموذج) عند اثنين من المعلمين.

ـ في الرابعة عشرة من عمره دخل مدرسة سليمان خان للعلوم الدينية، ودرس كتابي (الصمدية) و(السيوطي) وقليلاً من (المغني).

ـ حضر درس الشرائع (شرائع الإسلام) عند والده.

ـ درس شرح اللمعة الدمشقية (كتاب الحج) حينما وصل إلى الشرائع إلى كتاب الحج وذلك بطلب من والده.

ـ بعد ذلك التحق بمدرسة نواب للعلوم الدينية وأكمل السطوح[١] هناك.

ـ في السادسة عشرة من عمره التحق سماحته بدرس البحث الخارج عند آية الله العظمى الميلاني قدّس سره.

وقد حضر سماحته البحث الخارج أكثر من خمس عشرة سنة، وكان حضوره لبحث الخارج على يد عدة أساتذة وفي غير واحدة، من المدن العلمية، فقد درس في مشهد الخارج على يد الميلاني قدّس سره، وفي عام ١٩٥٨ ميلادي توجه إلى قم المقدّسة ودرس هناك على يد عدد من الأساطين منهم الإمام الخميني قدّس سره الذي كان يحضر درسه بصورة مستمرة، ومنهم آية الله الشيخ مرتضى الحائري، وآية الله العظمى البروجردي.

ودرس سماحته في النجف الأشرف منذ عام ١٩٥٧ على يد آيات الله الحكيم والخوئي والشاهرودي والزنجاني والميرزا حسن اليزدي؛

---

(١) مرحلة السطوح في الدراسة الدينية هي مرحلة ما بعد المقدمات وما قبل البحث الخارج.

وارتاح جداً لدرس آية الله الحكيم قدّس سره.

ولولا رفض والده لطلبه بالبقاء بالنجف لبقي هناك كما يخبر هو حفظه الله.

وإلى جانب الفقه والأصول فقد درس سماحته الفلسفة عند أفاضل العلماء.

هذا وفي عام ١٩٧٤ حصل سماحته على إجازة بالاجتهاد من أستاذه آية الله العظمى الحائري، وبالإضافة إلى دراسته حفظه الله فقد مارس التدريس منذ فترة من بداية الدراسة.

أما عن جهاد سماحته ومقارعته للظلم، فقد كان مجاهداً بالمعنى الواسع لكلمة الجهاد منذ الصغر، وحينما نهض الإمام الخميني بثورته العلية عام ١٩٦٢ ميلادي شارك سماحته في هذه الثورة مشاركة فعّالة، حتى تم سجنه في سجون الشاه مدة ثلاث سنوات.

وقد بعثه الإمام الخميني قدّس سره عام ١٩٦٣ ميلادي إلى مشهد لإيصال ثلاثة نداءات مصيرية حول شهر محرم الذي وقعت فيه انتفاضة ١٥ خرداد.

وقام سماحته بمهمته وأزيد خير قيام، وفي السابع محرم من تلك السنة أشعل فتيل الثورة في مدينة بيرجند حيث ألقى خطاباً مهماً أثار حماس الجماهير للثورة، وقام في اليوم التاسع من المحرم بإلقاء خطاب في بيرجند أثار فيه السخط على نظام الشاه مما حدا بالسلطة إلى اعتقاله وحجزه يومين في بيرجند، ثم نقل إلى مشهد وسلّم إلى السافاك، وهناك حلقوا لحيته وعذبوه بأسلوب وحشي حتى أنهم فرضوا

عليه الأشغال الشاقة حيث أعطوه عربة ومعول وغير ذلك وفرضوا عليه العمل القاسي.

بعد فترة من اعتقاله وإطلاق سراحه تابع سماحته مسيرته الثورية تحت راية الإمام الخميني قدّس سره، وبدأ عمله بتوعية الشعب ضد النظام الشاهنشاهي، وفي كرمان ألقى الخطب الثورية والمؤثرة، ثم توجه إلى زاهدان حيث لقي ترحيباً حاراً من قبل الأهالي.

وفي شهر رمضان عام ١٩٦٣ ميلادي وبالتحديد في الخامس عشر منه ألقى كلمة قوية ألهبت مشاعر الجماهير فاعتقله السافاك حيث تم نقله بالطائرة إلى طهران، ثم سجن في سجن (منزل قلعة) المشهور والذي يمارس فيه أبشع أنواع الأذى والتعذيب الوحشي حيث قضى حوالي الشهرين مع شتى صنوف التعذيب؛ وحينما أطلق سراحه لم يهن ولم يكل بل استطاع وبكل جرأة من مقابلة الإمام الخميني قدّس سره في منزله ـ بل في سجنه ـ في منطقة القيطرية الذي كان مقراً إجبارياً للإمام قدّس سره.

بعد ذلك شكّل سماحته مع مجموعة من العلماء «الخلايا السرية»؛ ولكن هذه الخلايا كشفت سنة ١٩٦٥ ميلادية فاعتقل جماعة من العلماء واستطاع سماحته والشيخ الرفسنجاني وآية الله مصباح اليزدي وغيرهم من الاختفاء عن عيون السافاك، وبقي سماحته حوالي السنة مختفياً عن السلطة مع الشيخ الرفسنجاني وذلك في منزل واحد.

في عام ١٩٦٧ ميلادي اعتقل سماحته على خلفية تأليفه (المستقبل لهذا الدين)، وبعد إطلاق سراحه استقر في مشهد وانشغل

بالتدريس، حيث بدأ بإعداد الطلبة للجهاد في سبيل الله والعمل على تغيير الواقع الانحرافي.

في عام ١٩٧٠ ميلادي اعتقل سماحته حيث استمرت فترة الاعتقال هذه أربعة أشهر ونيف.

وبعد إطلاق سراحه استأنف سماحته إلقاء المحاضرات التي تتسم بالثورية والنهي عن المنكر في المجالات السياسية، الأمر الذي أدى إلى أن تتصل به جماعات مسلحة سرية ضد النظام طالبة منه التعاون معها.

وفي عام ١٩٧١ وإثر الانفجار الذي وقع في أعمدة الكهرباء أثناء الاحتفالات بمرور ٢٥٠٠ سنة على النظام الملكي اعتقل سماحته وتعرض للتعذيب وبعد خمسين يوماً أطلق سراحه.

وبعد إطلاق سراحه تابع جهاده عبر إلقاء المحاضرات المهمة مما حدا بالسافاك إلى تعطيل مكان محاضراته ودرسه في تفسير القرآن أكثر من مرة؛ إلى أن اعتقل عام ١٩٧٣ ونقل إلى طهران.

في عام ١٩٧٥ ميلادي اضطر السافاك إلى إطلاق سراح سماحته فعاد إلى مشهد وتابع جهاده ضد النظام هناك.

في عام ١٩٧٧ تم تأسيس رابطة العلماء المجاهدين الركيزة الأولى للحزب الجمهوري الإسلامي بمشاركة عدد كبير من العلماء البارزين وكان لسماحته الدور البارز في هذه الرابطة.

وفي عام ١٩٧٧ ميلادي اعتقل سماحته وحكم عليه بالنفي إلى

(ايرانشهر) لمدة ثلاث سنوات، وهناك تابع جهاده بقوة وسعى إلى توحيد صفوف السنة والشيعة، وحينما حدث سيل تجير في تلك المنطقة شكّل سماحته هيئة إغاثة قامت بدور ضليع لتخطي آثار هذه النكبة.

لقد بلغ نجاح سماحته في بلد المنفى حداً إلى درجة أن رئيس السافاك، قال له بعد أن استدعاه:

لقد خاطبت البارحة في جلسة لجنة الأمن الحضور بالقول: كم كنتم غير كفوئين بحيث لم تستطيعوا عمل شيء، انظروا إلى هذا المنفي إلى هنا ماذا فعل بالأوضاع؟!

بعد عودته من المنفى عام ١٩٧٨ ميلادي عاد إلى مدينة مشهد واستمر سماحته في الجهاد بعزم أكبر وتصميم أشد. بعد تلك الفترة شكّل الإمام قدّس سره «مجلس قيادة الثورة» وعين ستة أشخاص من بينهم سماحته دام ظله وقام هذا المجلس بدوره خير قيام. ومع عودة الإمام الخميني قدّس سره شكّلت لجنة استقبال الإمام وتولى سماحته مسؤولية الإعلام واستطاع ردّ كيد الشيوعيين آنذاك إلى نحورهم.

وفي عام ١٩٨١ تعرض سماحته لمحاولة اغتيال نفذها المنافقون حينما كان يلقي خطاباً في جنوب طهران في مسجد «أبو ذر». وقد أصيب سماحته بعدة إصابات ولا زالت بعض آثار محاولة الاغتيال هذه بادية على إحدى يديه، وبعد ذلك تماثل للشفاء.

فحينما كان سماحته يؤدي صلاة الجمعة وكان خطيباً فيها هزّ المكان إحدى الانفجارات الذي أوقع الكثير من الإصابات بين قتيل وجريح ومع ذلك تابع سماحته الخطبة وأدى الصلاة بهدوء.

يقول الإمام الخميني بهذا الصدد:

«إني لا أنسى قضية يوم الجمعة كيف مضت بعظمة ونورانية وصمود وتلك الطمأنينة، إنني كنت ألاحظ وأنظر وبالأخص إلى الناس لأرى ما يحدث بينهم، فلم أر حتى شخصاً واحداً قد تزلزل، وفي الوقت نفسه كان إمام الجمعة يخطب بذلك الصوت الجهوري والناس يستمعون إليه بتلك الكيفية وهم يهتفون: إننا مستعدون للشهادة»[١].

وهكذا استمر سماحته بجهاده المدوي بعد انتصار الثورة الإسلامية، وقد تقلّد سماحته بفضل ما له من كفاءة عدة مناصب نذكر منها:

ـ عام ١٩٧٩ ميلادي عيّن سماحته عضواً في مجلس الدفاع ممثلاً في مجلس قيادة الثورة.

ـ في عام ١٩٧٩ ميلادي عيّن وكيلاً لوزارة الدفاع.

ـ في ١/ ٢/ ١٩٧٩ ميلادي عيّن كقائد لحرس الثورة الإسلامية.

ـ في عام ١٩٨٠ أصبح ممثلاً عن الإمام الخميني قدّس سره في مجلس الدفاع الأعلى.

ـ عام ١٩٨٠ عيّن سماحته من قبل الإمام الخميني قدّس سره إماماً لجمعة طهران وذلك بعد رحيل آية الله الطالقاني.

ـ في الدورة الأولى لمجلس الشورى الإسلامي ترشح للانتخابات

---

(١) م. ن، ٨٥.

ودخل المجلس، بأصوات غالبية الناخبين.

ـ في ٥ ـ ١٠ ـ ١٩٨١ ميلادي انتخب لرئاسة الجمهورية الإسلامية بأغلبية الأصوات وذلك عقيب استشهاد رجائي وباهنر.

بالإضافة إلى هذه المناصب فقد تقلّد سماحته مناصب أخرى كرئاسة مجلس تشخيص مصلحة النظام، ورئاسة مجلس الثورة الثقافية، ورئاسة مؤتمر أئمة الجمعة والجماعات، والنائب الأول لرئيس مجلس الخبراء، ومجلس إعادة النظر في الدستور وغيرها.

ـ ومع رحيل الإمام الخميني قدّس سره في الساعة ١٠,٢٠ من مساء يوم السبت في الثالث من حزيران ١٩٨٩ ميلادي، عقد مجلس الخبراء في اليوم التالي جلسة طارئة واستثنائية، ولم تمض عشرون ساعة حتى تمت بيعة الإمام الخامنئي حفظه الله قائداً عاماً للثورة الإسلامية ووليّاً للأمر.

ولسماحته دام ظله عدد وافر من التصانيف والمؤلفات ومما صدر له:

١ ـ أربعة كتب أساسية في علم الرجال.

٢ ـ الرجوع إلى نهج البلاغة.

٣ ـ الحكومة في الإسلام.

٤ ـ روح التوحيد نفي عبودية غير الله.

٥ ـ في رحاب حياة الإمام الصادق عليه السلام.

٦ ـ من أعماق الصلاة.

٧ ـ دروس من نهج البلاغة.

٨ ـ رسالة الثورة.

٩ ـ الخطوط العامة للفكر الإسلامي.

١٠ ـ عطر الشهادة.

١١ ـ ترجمة «المستقبل لهذا الدين» مع مقدمة له.

١٢ ـ درس في الأخلاق.

١٣ ـ عنصر الجهاد في حياة الأئمة عليهم السلام.

١٤ ـ حديث حول الصبر.

١٥ ـ الإمامة والولاية.

١٦ ـ حديث حول الوحدة والتحزب.

١٧ ـ الاستفتاءات.

١٨ ـ كتاب الجهاد.

١٩ ـ أربع سنوات مع الشعب.

٢٠ ـ بحث حول سيرة الإمام السجاد عليه السلام.

٢١ ـ حديث حول الحكومة العلوية.

٢٢ ـ المنافقون أعداء الحكومة الإسلامية.

٢٣ ـ حديث الولاية.

٢٤ ـ أسئلة وأجوبة (٥ أجزاء).

٢٥ ـ الشهيد شمران رجل الجهاد والشهادة.

والآن نترك لسماحته حفظه الله كي يحدثنا عن بعض مجريات حياته حيث يقول:

ـ لقد كان والدي العامل الرئيسي في انتخابي طريق العلم النيّر والعلماء، ولقد شوّقني ورغّبني بذلك... فعندما شرعت بالدروس الدينية، كان الفارق في العمر بيني وبين والدي شاسعاً (كان ٤٥ سنة تماماً)، إضافة إلى ذلك فقد كان لوالدي مكانة علمية بارزة، وكانت لديه إجازة اجتهاد، وتخرّج على يديه الكثير من طلبة العلوم الدينية في مستويات عالية، لذا لم يكن من المناسب وهو في هذه المكانة العلمية أن يدرسني وأنا في المرحلة الأولى من دراستي، ولم تكن لديه الرغبة ولا الصبر على ذلك، لكن نظراً لاهتمامه بتربيتنا، فقد درّسني وأخي الأكبر ومن بعدنا درّس أخانا الأصغر، فحقّه عظيم علينا في مجال التدريس والتربية وخصوصاً عليّ، لأنه لو لم يكن موجوداً لما وفقنا في تحصيل الفقه والأصول.

وقبل ذهابي إلى قم، حضرت ـ علاوة على دراستي عند والدي ـ الدروس العامة في مشهد، وفي العطلة الصيفية كان والدي يضع لنا برنامجاً دراسياً ويباشرنا بالتدريس، ولهذا السبب لم يحصل توقف في دراستي خلافاً للذين كانوا يدرسون في الحوزات العامة والتي كانت تعطل في شهري محرم وصفر وشهر رمضان المبارك وفي العطلة الصيفية، فأنهيت دروس السطوح جميعها وشرعت بالبحث الخارج وأنا في السادسة عشرة من عمري.

لقد شرعت بالتدريس في الأيام الأولى من دراستي الحوزوية بعد إتمام المرحلة الابتدائية مباشرة، وبدأت بتدريس كتاب الأمثلة وصرف مير لاثنين من ملالي مشهد المسنين، وحتى عام (١٩٥٨م) حيث كنت مقيماً بمشهد، قمت بتدريس هذه الكتب (الصرف، النحو، المعاني، البيان، الأصول، والفقه).

وفي قم أيضاً قمت بالتدريس إلى جانب دراستي. وبعد عودتي من قم إلى مشهد عام (١٩٦٤م)، كان التدريس أحد برامجي الرئيسية والدائمة، وطوال هذه السنوات حتى عام (١٩٧٧م) قمت بتدريس السطوح العليا (المكاسب والكفاية)، التفسير والعقائد.

في عام (١٩٥٧م) تشرفت بزيارة العتبات المقدّسة، وكان جو حوزة النجف يشدني للبقاء في ذلك المركز العلمي، لهذا وددت البقاء في النجف، وبقيت فترة قصيرة، لكن والدي رفض بقائي هناك، فرجعت إلى مشهد.

وتوجهت في عام (١٩٥٨م) إلى قم بإذن من والدي، وبقيت هناك حتى عام (١٩٦٤)، لكن اضطررت في عام (١٩٦٤م) إلى العودة إلى مشهد لفقدان والدي بصره رغم المخالفة الشديدة لبعض أساتذتي الكبار في قم.

ـ في مشهد أيضاً ومنذ العام (١٩٦٤م) ـ بالإضافة إلى دراستي ـ كنت أقوم بالتدريس أيضاً وكنت أحضر درس الفقه حتى عام (١٩٧٠م).

ـ قرأت كتابي (الأنموذج والصمدية) في مدرسة سليمان خان

العلمية بمشهد عند الشيخ علوي نامي - والذي كان هو بدوره يواصل دراسة الطب الحديث - ثم قرأت السيوطي وقليلاً من المغني في المدرسة نفسها عند شخص يدعى الشيخ مسعود، وبما أن أخي الأكبر السيد محمد كانت لديه غرفة في مدرسة نوّاب، لهذا ذهبت وشرعت في كتاب المعالم إلى جانب دراستي للسيوطي والمغني.

وفي تلك الأيام اقترح عليّ والدي أن يدرّسني كتاب شرائع الإسلام للمحقق الحلي (ره)، ومع أن الشرائع لم يكن كتاب تدريس، إلاّ أن والدي شعر أن هذا الكتاب مؤثر في تقدمي العلمي، وبالفعل صار هكذا. أي أنّه درّسني كتاب الشرائع من بدايته إلى كتاب الحج، وعندما بلغنا كتاب الحج. وكان والدي يدرّس أخي شرح اللمعة كتاب الحج آنذاك. قال لي: تعال وشارك في درس شرح اللمعة.

قلت له: قد لا يمكنني فهمه.

قال لي: بل يمكنك فهمه.

فشاركت في الدرس وبالفعل فهمه.

هذا وقد درست ثلاثة أرباع كتاب شرح اللمعة تقريباً عند والدي، والبقية عند المرحوم ميرزا أحمد مدرس اليزدي الذي كان مدرساً معروفاً في شرح اللمعة والقوانين بمدرسة نوّاب، وبعد أن أنهيت دراسة اللمعة، حضرت درس المكاسب والرسائل عند المرحوم الحاج آية الله الشيخ هاشم القزويني (الذي كان من تلامذة المرحوم ميرزا الأصفهاني وكان من أهل رياضة النفس ومدرساً من الطراز الأول في مشهد، ومحترماً وفهِماً معروفاً، ورجلاً شريفاً وبصيراً لدى خواص مشهد

وبالأخص لدى أهل العلم)، لقد كان عالماً جامعاً حسن البيان بحيث إنني لم أرَ مثله في حسن البيان لا في النجف ولا في قم رغم حضوري أغلب الدروس هناك.

لقد قرأت عنده القسم الأعظم من (الرسائل والمكاسب والكفاية)، وعندما أقول القسم الأعظم، لأني درست ما بقي منه عند والدي، لذا يجب أن أقول:

إن لدعم والدي النصيب الأوفر في تقدّمي الدراسي، فبلغت فترة دراستي منذ اللحظة الأولى في طلبي العلم حتى شروعي بحث الخارج خمس سنوات ونصف أي أنني أنهيت السطوح في خمس سنوات ونصف.

وشرعت في حضور بحث الخارج عند المرحوم آية الله العظمى الميلاني (ره)، وقد كان عالماً محققاً ومن مراجع مشهد، فحضرت درسه في الأصول لمدة سنة، والفقه سنتان ونصف حتى أواخر عام (١٩٥٨م) عندها توجهت إلى قم.

ولا يخفى أن أذكر أنني حضرت بحث الخارج فترة عند آية الله الحاج الشيخ هاشم القزويني أي أنه درّس الخارج في الأصول بإصرار منا، وكان بحثه واسعاً بحيث ينقل جميع الآراء ثم يبدأ بالرد عليها.

وحضرت في مشهد درساً آخر أيضاً وهو درس الفلسفة عند آية الله الميرزا جواد الطهراني، وكانت طريقته في التدريس كالتالي:

كان يدرّس كتاب المنظومة، وينقل مطالب المرحوم الحاج

ملاهادي السبزواري ثم يفندها فكان درسه في الحقيقة رداً على المنظومة.

إلى أن قال لي أحد الأصدقاء الذي درس الفلسفة في قم:

إن هذا ليس بصحيح وهو أن تحضر درس المنظومة عند الميرزا جواد وهو يرد على المنظومة، لأنك بهذه الطريقة لا يمكنك تعلّم مفاهيم الحكمة، لذا يحسن أن تحضر عند من يعتقد بالحكمة، فقبلت كلامه هذا، وحضرت عند «الشيخ رضا ايسي» في مشهد، وكان عالماً وفاضلاً وحكيماً ومعتقداً بالحكمة كثيراً، فشرعت في درس المنظومة عنده، فكان يدرّس هذه المباحث برؤية معتقدة بالحكمة تماماً.

ثم ذهبت إلى النجف وحضرت دروس الآيات الحكيم والخوئي والشاهرودي والميرزا باقر الزنجاني والمرحوم ميرزا حسن اليزدي وأي درس وجد في أي مكان، لكن من بين كل هذه الدروس، ارتحت كثيراً لدرس آية الله الحكيم وذلك لأسلوبه السلس وآرائه الفقهية المتقنة، ودرس آية الله ميرزا حسن البجنوردي الذي كان يدرس في مسجد الطوسي، فارتحت لدرسه كثيراً، فقررت البقاء في النجف.

كتبت رسالة إلى والدي أطلب منه الموافقة على ذلك، لكن والدي لم يوافق، لهذا رجعت إلى مشهد. وبعد فترة توجهت إلى قم وهناك قررت الإطلاع على جميع الدروس حتى أحضر الدرس الذي يعجبني، فحضرت درس الإمام ومن بعده درس آية الله الحاج الشيخ مرتضى الحائري، والآخر درس آية الله العظمى البروجردي، ومن بين كل تلك الدروس كنت أشارك في درس الأصول للإمام بصورة

مستمرة، واستفدت قليلاً في الفلسفة من بحوث الطباطبائي في الأسفار والشفاء».

ـ أما حول دخول ساحة الجهاد والمعترك السياسي، فبين عامي (١٩٥٢ ـ ١٩٥٣م) سمعت أن المرحوم نواب صفوي قد جاء إلى مشهد، وكان شيء خفي يجذبني إليه، وكنت أود رؤيته كثيراً، إلى أن أُخبرنا أن نواب ينوي المجيء إلى مدرسة سليمان خان والتي كنت أحد طلابها، ويعتبر يوم مجيء نواب إلى مدرسة سليمان خان من الأيام التي لا تُنسى في حياتي.

فعندما دخل نواب صفوي المدرسة مع بعض أعضاء منظمة (فدائيو الإسلام) الذين كانوا واضعين قبعات خاصة على رؤوسهم، بدأ بإلقاء خطاب قوي وهو قائم، وكان مضمون خطابه هو إحياء الإسلام وإقامة حكومة إسلامية، وشنّ هجوماً عنيفاً في خطابه على الشاه والانكليز، واتهم مسؤولي البلاد بالكذب وقال: إن هؤلاء المسؤولين ليسوا بمسلمين.

إنني كنت أسمع بأذني هاتين هذه الأقوال من لسان المرحوم نواب، فوقع كلامه على قلبي، وتمنيت أن ألازمه دوماً.

وأعلن هناك أن نواب يتحرك غداً من المهدية باتجاه مدرسة نواب، وفي اليوم الثاني تحرّك في حشد من المهدية باتجاه المدرسة المذكورة آنفاً، وفي الطريق كان يخاطب الناس بصوت عال ويردد:

«**أخي المسلم الغيور، يجب أن يحكم الإسلام**» إلى أن دخل المدرسة، وهناك ألقى خطاباً مفصّلاً ومثيراً. وبعد انتهاء الخطاب

اقترح عليه إقامة صلاة الجماعة، فوافق على ذلك، وصلّينا الجماعة بإمامته، ثم غادر مشهد، ولم نعلم عنه شيئاً بعد ذلك اليوم إلى أن بلغنا نبأ استشهاده، فغضبنا لذلك كثيراً وبدأنا نردّد شعارات ونشتم الشاه، والنقطة الملفتة للنظر هي أن المرحوم آية الله الحاج الشيخ هاشم القزويني كان العالم الوحيد في مشهد. نظراً إلى طهارة سريرته وهمّته العالية. الذي أبدى ردّة فعل تجاه استشهاد المرحوم نواب ورفاقه، وانتقد في درسه نظام الشاه بشدة وأبدى تأثره وحزنه على استشهادهم، وقال:

إن بلادنا وصلت بها الحالة إلى درجة بحيث يقتل فيها ابن رسول الله ﷺ لا لشيء سوى قوله الحق.

فكان «نواب» أول من أوقد شرارة نهضة إسلامية في نفسي ذاك الزمان، ولا يختلجني شك أن نواب هو أول من أوقد هذه الشعلة في نفوسنا، ولهذا أصبح تقليد المرحوم نواب سبباً لبدء أول تحرك جهادي عام (١٩٥٥ أو ١٩٥٦م) وكان تحركنا الجهادي بهذه الصورة وهي حينما بُعث شخص باسم (فرح) محافظاً لمدينة مشهد، وكان هذا الشخص لا يحترم أياً من المظاهر والضوابط الإسلامية، ومن جملتها أنه كان من المقرر رسمياً أن تعطّل السينما في مشهد شهري محرم وصفر، ففي البداية أعلن عن تعطيل السينما إلى اليوم الرابع عشر من محرم، لكن بعد أن ارتفعت أصوات الاحتجاج، مددها إلى العشرين من محرم، لهذا السبب عقدنا جلسة ـ وكنا عدة أفراد ـ وكتبنا إعلاناً حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأرسلناه عن طريق البريد إلى أماكن متعددة.

* في السابع من شهر محرم (١٩٦٣م) كان سماحته في مدينة بيرجند ألقى خطاباً حماساً، ومما قاله سماحته عن ذلك اليوم:

«في ذلك اليوم أطال الخطيب الأول بيانه وتأخر عن النزول من المنبر، فلم يبق لي غير نصف ساعة، وعندما بدأت الموضوع كنت ارتعش من شدة التأثر رغم أني لم أخف مطلقاً، وكانت أحوال الناس تؤثر بي أيضاً، كان الناس يبكون بصورة عجيبة، وعندما نزلت من المنبر أحاطوا بي كي لا أعتقل...

* كان في بيرجند عالم شهير اسمه تهامي، قال لي ذلك اليوم: مع إنني الأكثر اطلاعاً على الأمور في هذه المدينة، لكني لم أكن أعلم بهذه القضايا، ولولاك لما صدّقت هذه القضايا، وإنني لم أبك في أي من الحوادث بهذه الصورة».

* حينما سجن سماحته عام (١٩٦٣م) في سجن السافاك قام السافاك بتقصير لحيته يقول سماحته:

«بعد هذا الفعل (تقصير لحيتي)، وعندما ذهبت لأغسل وجهي، جاءني ملازم متكبر مغرور وبدأ بالاستهزاء والقهقهة وقال:

أرأيت كيف حلقنا لحيتك.

قلت له بسكينة: بل لم يكن سيئاً، فإنني لم أر ذقني منذ فترة طويلة...

وتابع حفظه الله قائلاً: لم يكن السجن سيئاً، كان تجربة جديدة وعالماً آخر مع السافاك، ومع التحقيقات والعذابات والأوقات المريرة

والإهانات الشديدة، وخلاصة القول مع آلام الكفاح».

* بعد إطلاق سراحه اجتمع سماحته بعدد من الإخوة وقرروا بعض القرارات وحول ذلك يقول سماحته:

«عقدنا جلسة وقررنا مع الزملاء ـ هذه المرة ضمن برنامج ومخطط دقيق ـ أن يذهب كل واحد منا إلى نقطة من البلاد ليكشف الحقائق للشعب، كانت المراقبة شديدة وأجهزة النظام على استعداد لقمع الشعب بشدة، وقد أدّت جرائم النظام إلى تراجع البعض وإن كانت قد دعت البعض الآخر إلى مقاومة أكثر وجهاد أكبر».

* في شهر رمضان (١٩٦٣م) كان الإمام الخميني محاصراً، فقرر العلماء وطلاب العلم التحرك، يقول سماحته حول هذه المحطة:

«عندما تحركنا من قم في باص كنا ثلاثين طالباً للعلم، وكانت مستويات الطلبة الجالسين في الباص متفاوتة، فكانوا ينزلون من الباص الواحد تلو الآخر في الطريق، وكنت آخر من يجب عليه النزول في كرمان».

* عندما قابل سماحته الإمام الخميني قدّس سره في مقر إقامته الجبرية في القيطرية، يقول حفظه الله:

«لقد أذهب الإمام رضوان الله عليه التعب عن جسمي، وبكيت من شدة شوقي لرؤية الإمام، فلاطفني الإمام كثيراً، وقلت لسماحته:

لم نستفد من شهر رمضان بالصورة المطلوبة نظراً لغيابك، لذاك يجب علينا التفكير في محرم القادم من الآن».

* في عام ١٩٦٧ ميلادي وبعد إطلاق سراحه استقر بمشهد لإعداد الطلبة الثوريين، يقول سماحته حول هذا الموضوع:

«رأيت أنه يجب تربية جمع من الطلبة يؤمنون بالجهاد من أعماق قلوبهم ويبذلون كل ما في وسعهم في هذا الطريق، لهذا بدأنا العمل ووضعنا برنامجاً مع الطلبة، وعندما وقع الزلزال، فاغتنمنا هذه الفرصة انطلاقاً من تفكيرنا هذا، واتصلنا ببعض الأخوة وعرضنا عليهم قصدنا في الذهاب إلى فردوس، فحظيت هذه الخطوة بتأييد العض.. وتحركنا في خمسة عشر إلى عشرين سيارة باتجاه قطعة الزلزال... لقد كان يشأ جميلاً بحيث أربك النظام، وكانت وحدة في الدرك مستقرة هناك حاولت إخراجنا من المنطقة بالقوة.

قلنا: إننا لن نذهب، أيها الزملاء لا تهابوهم.

وقلت: يجب علينا أن لا نخاف لأنه لا معنى للخوف ووضعنا على هذا الحال وذلك لأننا جئنا هنا لمساعدة الناس، وإن جميع إمكانات الناس في تصرفنا، والنظام البهلوي لا يملك شيئاً، ولو ملك شيئاً لما أعطاه للناس. وبالفعل لم تتمكن قوات الطاغوت من المقاومة ورجعوا من حيث أتوا، وواصلنا عملنا».

* في عام ١٩٧٧ ميلادي قرر سماحته مع جماعة تشكيل خلايا إسلامية منظمة بقيادة الإمام الخميني قدّس سره، يقول سماحته:

«عقدنا جلسة في عام ١٩٧٧ م مع اثنين من الإخوة وهما المرحوم آية الله رباني الأملشي والشيخ الموحدي الكرماني، دار

الحديث فيها حول أسباب عدم وجود خلايا منظمة للمجاهدين خصوصاً بين صفوف العلماء الذين كانوا يشكلون النسبة العليا من المجاهدين، فاقترح إيجاد خلايا منظمة، وقد قيل في تلك الجلسة أنه لو كان السيد البهشتي معنا في هذه الخلايا، كانت النتائج أفضل».

* حينما عيّن الإمام الخميني قدّس سره مجلس قيادة الثورة وسماحته من بينهم كان دام ظله في مشهد، وفي هذا الصدد يقول:

«كنت في مشهد منهمكاً بإدارة شؤون هذه المدينة مع الإخوة الذين كان لهم دور في أحداث مشهد العظيمة، فاتصل الشهيد المطهري بي عدة مرات تلفونياً سواء بصورة مباشرة أو بالواسطة لأذهب إلى طهران، وكنت أتصور أنه لأجل الأعمال العادية التي نقوم بها ـ حيث كانت لدينا نشاطات مشتركة سواء علمية أو عقائدية أو سياسية ـ يطلب مني الذهاب إلى طهران، ولم أكن أتصور أنه لأجل مجلس قيادة الثورة، فكنت أقول: سوف آتي، لكن لكثرة أعمالي في مشهد وثقل مسؤوليتي كنت أؤجل سفري في كل مرة، إلى أن أخبروني من باريس أن الإمام يأمرني بالذهاب إلى طهران، فشعرت أن هناك أمراً يجب الذهاب من أجله إلى طهران خصوصاً بعد أن اتصل بي المطهري وأبلغني الرسالة بغضب وقال:

لماذا لا أذهب إلى طهران وماذا أنتظر؟

وفي طهران قيل لي أنه يجب أن أشارك في جلسة تعقد بمنزل الشهيد المطهري، واجتمع أعضاء مجلس الثورة جميعهم في تلك الجلسة، وهناك علمت أنني عضو في مجلس قيادة الثورة، حيث لم

أكن أعلم بذلك حتى ذلك الوقت»[1].

* عندما تعرض سماحته لمحاولة اغتيال عام ١٩٨١ ميلادي، نجا حفظه الله وبهذا يقول:

«أنا من تلك اللحظة (لحظة إصابته) أحسست بأن الله يريدني لمهمة كبيرة، وقد أعددت نفسي لها، وبطبيعة الحال في ذلك اليوم لم أكن لأحدس ما هي هذه المهمة؟ ولكني أيقنت أن عليّ الاستعداد لتحمّل ثقل كبير في سبيل الله ومن أجل الثورة وفي خدمتكم أنتم أيها الناس».

وعلى إثر محاولة الاغتيال، أبرق إليه الإمام الخميني كلمة جاء فيها:

«والآن وبعد أن قام أعداء الثورة بالاعتداء عليكم. وأنتم من ذرية الرسول الأكرم ومن آل بيت الحسين بن علي، ولم تقترف ذنباً سوى خدمة الإسلام والوطن الإسلامي، ولم ينتقموا منك إلاّ لأنك جندي مستبسل في جبهة الحرب، ومعلم في المحراب وخطيب مفوّه في صلاة الجمعة والجماعة ومرشد مخلص في ميادين الثورة.

لقد جرح هؤلاء باعتدائهم عليك، مشاعر الملايين من المؤمنين في شتى أنحاء العالم.

إن هؤلاء المحرومين من الرؤية السياسية إلى درجة أنهم أقدموا على هذه الجريمة بعد خطابكم في مجلس الشورى وفي صلاة الجمعة

---

(١) م. س.

وفي الجماهير الشعبية مباشرة، واعتدوا على شخص كانت دعوته إلى تحقيق الصلاح والسداد تدوّي في آذان مسلمي العالم.

إن هؤلاء وبعملهم اللا إنساني هذا، وبدلاً من أن يستفزوا ويرعبوا الشعب، زادوا من عزم ملايين المسلمين وجعلوا صفوفهم أكثر تراصاً. ألم يحن الوقت ـ بوقوع هذه الأعمال الوحشية والجرائم الحمقاء ـ كي يتخلص شبابنا الأعزاء المخدوعون من أفخاخ خيانة هؤلاء، ويمنع الآباء والأمهات شبانهم الأعزاء من أن يصبحوا قرابين لأهواء الجُناة ويحذروا أبناءهم من المشاركة في جرائمهم؟

ألا يعلمون أن القيام بهذه الجرائم سيجرّ أبناءهم إلى الضياع والانحطاط وسيخسرون أبناءهم باتباعهم شرذمة من الفسدة الجناة؟

إننا نفخر عند ساحة الباري تعالى ووليه بالحق بقية الله (أرواحنا فداه) بجنود لنا في الجبهة وخلفها يقضون الليل في محراب العبادة والنهار بالجهاد في سبيله. إنني أهنئك أيها الخامنئي العزيز على خدمتك لهذا الشعب المظلوم في جبهات الحرب بملابس القتال وخلف الجبهة بالزي العلمائي، وأسأل الله أن يعطيك السلامة لتمضي في خدمة الإسلام والمسلمين»

كما أبرق رئيس مجلس القضاء الأعلى آية الله محمد الحسيني بهشتي ـ قبل استشهاده بساعات ـ مخاطباً الإمام الخامنئي في المستشفى قائلاً:

«إن المحاولة الفاشلة لأعداء الإسلام والثورة والوطن الإسلامي في اغتيال ذلك الأخ، أثبتت مرة أخرى أن أعداء الإسلام والشعب

الألداء لم يألوا جهداً في ارتكاب أية جريمة تحقيقاً لأهدافهم المشؤومة، إن أعمالهم الوحشية هذه ستُفجِّر غضب الشعب الثائر ضد الذين باعوا أنفسهم للآخرين وستعزلهم أعمالهم عن المجتمع أكثر يوماً بعد يوم.

أسأل الله المتعال أن يمنَّ بالسلامة على الأخ العزيز والمجاهد بأسرع وقت ليستمر في جهاده في خندق الإسلام».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السيد محمد الحسيني بهشتي

وقد أبرق سماحة الإمام الخامنئي من جانبه جواباً إلى الإمام (ره) هذا نصه:

«سيدي ومقتداي سماحة الإمام الخميني روحي لك الفداء.

سلام الله وسلام عباده الصالحين عليك

مرة أخرى يشملني الله سبحانه وتعالى برحمته الواسعة، فأجد نفسي مغمورة بالألطاف الربانية الخفية والعلنية، أسأل الله العلي القدير أن يوفقني لحمده وشكره على ألطافه ونعمائه ما دمت حياً، كما أني مؤمن بأن لدعائكم ومناجاتكم الأثر الأكبر في نجاتي من كيد المنافقين والظالمين، حفظكم الله ذخراً وملاذاً للإسلام والمسلمين آمين رب العالمين.

لقد أعدّ المؤمنون أنفسهم للشهادة في سبيل الله باذلين أرواحهم ومتاعهم اليسير، فالمؤمنون منه وإليه، ذلك نهج تعلمه المؤمنون في

مدرستكم وذاك كأس شربوه من معين كوثركم.

لقد علمتنا أيها الإمام أن نعز الإسلام ونغذيه بمهجنا حتى يتحقق ويثمر وتثمر معه شجرة النبي وآله الأطهار وحتى يختلط زلال الكوثر بدماء الشهداء والصديقين، فلا نبالي بالمصائب والويلات في هذا السبيل وكل ما نخشاه أن نُحرم فلا نُوفق إلى الحياة الأبدية ونعيمها الأزلي.

نشكر الله ونحمده بشمول آل يزيد وعبيد الله بلعنة الله وملائكته في الآخرة وبالخزي والعار في الدنيا، في حين يحتل الحسين عليه السلام وآله الطيبون وأصحابه قلب التاريخ البشري وصميم الإنسانية.

مراجعة ولي وطيد الأمل أن يستفيد المارقة والقاسطة والناكثة المعاصرون في إيراننا العزيز من التاريخ فيعودوا إلى الإسلام ويتفيئوا بظلاله ويتعاونوا في بعث الإسلام من جديد وجني ثماره الطيبة.

وأنا الذي أعتبر نفسي جندياً بسيطاً من جند الله بل وقطرة في بحر حزب الله الهائج مستعد لأقارع الأعداء والمنافقين إلى آخر قطرة من دمي، وسأجعل من ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ شعارا بل أنشودة أنشدها في كل يوم بل وفي كل لحظة.

وختاماً أسأل الله تعالى دوام الصحة والسلامة لشخصكم الكريم، فيطيل عمركم الشريف ويجعلكم ذخراً للثورة الإسلامية في إيران وملاذاً لكل المسلمين والمستضعفين في العالم آمين رب العالمين.

ابنكم السيد علي الخامنئي

* حينما تمت مبايعته حفظه الله قائداً للثورة الإسلامية يقول حفظه الله:

«عندما أصر الإخوة الأصدقاء على أن أرشح نفسي لرئاسة الجمهورية؛ يشهد الله تعالى أنني رفضت ذلك من أعماق قلبي واعتذرت بشدة عن ذلك، وامتنعت؛ حتى قالوا لي: إنك إذا لم تقبل فسيحدث ما هو مضر وسيىء (وذكروا أشياء كثيرة).

أحد الأخوة الأعزاء الذي تعرفونه جميعاً وتحبونه قال لي: افرض أنك مت فكيف تقف بين يدي الله بتركك لهذه المسؤولية والمهمة الإلهية. لقد هزّني هذا الكلام وشعرت بالخوف. وقبلت هذا الأمر في سبيل الله تعالى».

«عندما كنا في مجلس قيادة الثورة كنا نمني أنفسنا مراراً بأن مرحلة الثورة ستنتهي قريباً. وتتشكل الدول ومجلس الشورى وينحل مجلس القيادة. فنرتاح ونرجع إلى التدريس مجدداً حيث البحث وتفسير القرآن ونهج البلاغة، لقد وعدت الشباب حينها بأنني إن شاء الله بعد عدة أشهر وعندما ينتهي عمل مجلس القيادة سأبدأ معهم بدروس حول نهج البلاغة.

لقد كانت مطالبنا هذه الأعمال، ولكن الضرورات هي التي أجبرتنا على حمل المسؤولية، لقد أرادت الثورة ذلك منا ونحن لبينا».

ـ «إذا قيل للخامنئي إن وجودك في مكان تنظيم الأحذية في الحسينية الفلانية أكثر فائدة من رئاسة الجمهورية، فسأذهب إلى هذا العمل مباشرة. فاعلموا جيداً أنني لو وجدت عملاً أعمل فيه بمجهولية

تامة (لا أحد يعرفني) ويكون وجودي فيه أكثر فائدة للإسلام من المسؤولية التي أتحملها الآن، فإنني ـ والله ـ لن أتردد لحظة واحدة. إنني إذا أدركت ذلك سأقوم بهذا العمل فوراً».

ـ «بعد رحيل الإمام (ره) وفي اليوم الذي اجتمع فيه مجلس الخبراء، كنت عضواً في ذلك المجلس. وعندها طرح اسمي للبحث والتداول. واتفقوا على انتخاب هذا الموجود القليل الضعيف لهذا المنصب الخطير. فاعترضت بقوة دون أية مجاملة. والله وحده يعلم ماذا كان يحصل في قلبي في تلك اللحظات. لقد وقفت حينها، وقلت لهم:

«أيها السادة تريثوا، اعطوني فرصة. وكل هذا موجود قد سجل بالصوت والصورة. وبدأت أستدل على عدم انتخابي لهذا المقام. ومهما أصررت عليهم لم يقبلوا، بل بدأوا بتفنيد استدلالاتي. لقد كنت قاطعاً في عدم قبولي، ولكنني بعد ذلك رأيت أنه لا مناص. فقد تعين الأمر علي. أي إنني إن لم أتقبل هذا الحمل فسيبقى على الأرض. ولو وجد شخص آخر هناك، أو كنت أعرف من يمكنه حمله ويرضى به الآخرون، فإنني باليقين لم أكن لأقبل أن أحمله على عاتقي. ثم قلت: ربنا عليك توكلنا، وقد أعانني الله إلى يومنا هذا.

ومن قبل حصل نفس الشيء. لقد تم انتخابي لرئاسة الجمهورية مرتين. وفي الدورتين لم أكن أريد ذلك. ففي انتخابات الدورة الأولى كنت خارجاً لتوي من المستشفى(*)، لكن الزملاء قالوا:

(*) بعد تعرض سماحته لمحاولة الاغتيال الآثمة.

إن لم تقبل، فإن الحمل سيبقى مطروحاً على الأرض. ولا أحد ينهض به. فاضطررت لقبول ذلك. وأما في الدورة الثانية فقد قال الإمام لي: إن الأمر متعين عليك. وكنت قد ذهبت إليه قائلاً: سيدي لا أريد، ولا أودّ أن أدخل إلى هذا الميدان مجدداً. وعندها أجابني بأن الأمر متعين عليك. أي أن الواجب ليس كفائياً. بل هو عيني.... فإن كان عينياً فإنني لا أرفض حمله أبداً».

«لقد قام السادة بإعداد لائحة(*) وذكروا اسم هذا القليل فيها، ولكن لو سألوني لقلت لهم: لا تفعلوا ذلك.

فقد فعلوا كل هذا بدون اطلاعي، وقد علمت بذلك بعد أن نشروا هذا البيان، وإلا لما سمحت لهم بذلك، حتى أنني اتصلت بالتلفزيون وقلت لهم: إذا لم يكن السادة غير راضين، أرجو عندما تذيعوا هذا البيان أن لا تذكروا اسمي. فقالوا: لا يمكن ذلك لأنه يعدّ تحريفاً ـ فالسادة قد جلسوا عدة ساعات ولم يروا ذلك صحيحاً ـ ولهذا أذاعوا البيان على هذا الشكل».

* حينما اعتدى صدام حسين المجرم على الجمهورية الإسلامية شارك سماحته في الجبهات بالزي العسكري وفي هذا يقول:

«... سلمونا البدلة العسكرية، وكانت هذه المرة الأولى التي ألبس فيها الزي العسكري، ولعله لم يلبس أي عالم دين حتى ذلك

(*) بعد رحيل المرجع الكبير حضرة آية الله العظمى الآراكي (ره) قامت جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة بنشر لائحة تضمنت أسماء سبعة أشخاص واجدين لشرائط المرجعية.

الحين الزي العسكري في الجبهات، بل كان طلبة العلوم الدينية يترددون على مدينة خرمشهر ويتواجدون في الجبهات بالزي العلمائي بعد أشهر من هذه القضية».

أقول لهذا قال له الإمام الخميني قدّس سره:

«... وما نقموا منك إلا لأنك جندي مستبسل في جبهة الحرب ومعلم في المحراب... وإنني أهنئك أيها الخامنئي العزيز على خدمتك لهذا الشعب المظلوم في جبهات الحرب بملابس القتال وخلف الجبهة بالزي العلمائي...».

* حول ذكرياته في الحرب المفروضة يقول سماحته:

«من أعز الذكريات وأحلاها، ذكرى فتح مدينة سوسنكرد، والتي لا أنساها أبداً فذلك اليوم كان عظيماً ومليئاً بالحوادث عندما اقتحم الإخوة تلك المدينة وسيطروا عليها. ولقد كانت إلى ذلك الوقت من الموارد القليلة التي يجتمع فيها الجيش والحرس والقوى الشعبية وتحت قيادة مركزية في الأهواز حيث كنت. وكان المرحوم الشهيد شمران عضواً فعالاً فيها. لقد عملنا معاً وكانت ذكرى جميلة جداً».

«وإحدى الذكريات الجميلة جداً التي مرت معنا (في الجبهات) يوم تقدمت القوات العراقية وعبرت مدينة سوسنكرد واقتربت من الحميدية للسيطرة على المعسكر الموجود هناك والذي لم يكن يبعد عن البلدة سوى بضعة كيلومترات.

وكان قائد المعسكر ضابطاً كبيراً قد ذاق الجنود منه أياماً مرة فصرخ في وجوه الجميع قائلاً:

«**لماذا تقفون هكذا؟! أتنتظرون العراقيين حتى يأتوا ويقطعوا رؤوسكم؟!**» وذلك بدلاً من تشيجعهم وحثهم على الصمود والمقاومة.

فبدأوا ينسحبون من الممر الخلفي للمعسكر واحداً واحداً. تلك الليلة كانت عجيبة، حيث كنا جالسين عندما جاؤوا بخبر عبور الدبابات العراقية لبلدة الحميدية باتجاهنا على الاوتوستراد الذي يؤدي إلى الأهواز. لقد هب جميع الإخوة وانطلقوا نحوهم. وكانوا مجموعات من الحرس والقوى الشعبية والقوات التابعة للمحافظة. ولقد بذل المحافظ ومن معه مجهوداً عظيماً للوصول إلى تلك المنطقة. وكان من فضل الله تعالى علينا أن السماء أمطرت في تلك الليلة إلى درجة حولت الأرض اليابسة إلى مستنقعات غرقت فيها الدبابات العراقية، مما أدى إلى فرار الضباط والجنود منه لينجوا بأنفسهم من الغرق، وعندها بدأ الإخوة بتدمير الدبابات واحدة تلو الأخرى بقاذفات الأربي جي وفي الاتصال الهاتفي الذي أجريته مع طهران ذكرت لهم أن عدد الدبابات كان يبلغ التسعين. وكان الأخ الشيخ هاشمي في الخط المقابل حيث أصرّ علينا أن نستولي على الدبابات ونأخذها. وقلت له إن الأمر ليس متيسراً ولا نقدر عليه. فالعراقيون لم يستطيعوا تحريك الدبابات. ولأننا لم نكن قادرين على المحافظة على الدبابات فقد اضطررنا إلى إحراقها بالكامل. وفي البداية كما ذكرت بدأ الإخوة بضربها بقذائف الآر بي جي، ولكنهم بعدها استكثروا ذلك فاكتفوا برمي القنابل في داخلها. وأنت اليوم إذا مررت من تلك المنطقة يمكنك أن تشاهد بوضوح حطام وبقايا الدبابات المحترقة».

لكن بعد توليه رئاسة الجمهورية، لم تتسنّ له الفرصة للمشاركة

في جبهات الحرب بصورة مستمرة، يقول سماحته:

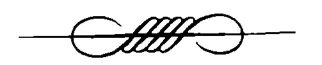
«بعد تسلمي لمنصب رئاسة الجمهورية لم تتسنَّ لي الفرصة ـ وللأسف ـ للتواجد المستمر في الجبهات سوى مرة أو مرتين وبصورة مؤقتة وقصيرة».

لكن رغم كل ذلك، كان سماحته يتنقل بين الحين والآخر داخل الجبهات لتعزيز معنويات المقاتلين الأبطال وحلّ مشاكلهم المعنوية والمادية والعسكرية، كما أنه عمل على تنسيق عمل القوات المسلّحة خلال عمله كعضو في مجلس الدفاع الأعلى.

على أنه وبعد الانتهاء مما قاله سماحته حول بعض مجريات حياته، نشير إلى أنه حفظه الله هو مثال العالم المستقيم، الزاهد، المخالف لهواه المطيع لأمر مولاه، وبعد ذلك هو أديب وشاعر، وله أنس خاص بالقرآن وسائر هذه المواصفات وغيرها لها شواهد من حياته وسيرته أفصح عنها الواقع ومن يعرفه ومن كانت له معه حوادث مشتركة.

❋ ❋ ❋

الفصل الأول



الغزو الثقافي

الغزو الثقافي

الغزو الثقافي حقيقة لا تعيها إلا أذن واعية، وهاجس لا يعتري إلا من دقق وحقق، فهو غيمة خبيئة لا تُفتضح أمطارها إلا بعد حصول البلل، فإذا ما ألفيت هزيمة بلا حرب، وإعصاراً بلا هدير، وإذا ما رأيت المقدرات والثروات كنوزاً تلتهمها أفواه الطامعين الغزاة، دون دفاع أو قراع أو صراع، وإذا رأيت ثمّ رأيت شعوباً تقلد المستبد تاج الملك، وتقيد نفسها لا إرادياً بقيود الاستعباد، وإذا ما شهدت أمة مخدرة مبرحة في بقعة مظلمة تسير خبط عشواء في تيه الدهر، فعندها لا يساورن الشك قلبك بأن هذا برمته من نتاج الغزو الثقافي الذي يحتل القلوب والأذهان قبل أن يحتل الحصون والبلدان.

وليس يتنبه إلى هذا الخطر المتسلل الخفي، إلا من هو خير الماكرين أي الله عز وجل وذلك عبر عبادة الخلّص الذين سدد، وهذه المرة عبر قائد المسلمين الإمام الخامنئي دام ظله ولا عجب في ذلك طالما أنه أخلص لله عز وجل فوهبه الله عز وجل حساً مرهفاً في التحليل والربط بين الأحداث، فيرجع الأحداث هامشية كانت أم أساسية إلى بعضها البعض ويتعرف من خلال ذلك على ما يُراد، ويفهم مغازي الأمور من الجهة التي دل عليها، وسنعمد في هذا البحث إلى

خوض غمار فكره السيّال والزّخار للوقوف على رؤاة حول الغزو الثقافي عبر العناوين الآتية.

* * *

ما هو الغزو الثقافي

الإمام الخامنئي دام ظله وسعياً منه لإشباع عملية التفهيم بعمق، عمد إلى تفسير معنى الغزو الثقافي فقال:

«معنى الغزو الثقافي والمراد منه هو أن تقوم مجموعة سياسية أو اقتصادية بالهجوم على الأسس والمقومات الثقافية لأمة من الأمم بقصد تحقيق مآربها ووضع تلك الأمة في أسار تبعيتها، وفي سياق هذا الغزو تعمد المجموعة الغازية إلى أن تحلّ في ذلك البلد وبالقسر، معتقدات وثقافة جديدة مكان الثقافة والمعتقدات الوطنية لتلك الأمة[1].

إذاً هو هجوم موسوم بمعالم سياسية واقتصادية، وليس مجرد فكر يحاول أن يناقش الفكر الآخر من أجل البلورة والإغناء المعرفي والكشف عن الحقيقة.

وعلى هذا فالغزو الثقافي يعتمد الفكر سلاحاً بغية محو الفكر الآخر، تمهيداً لسلب قوة الأمة ودعامتها الأساس، ومن ثمّ السيطرة عليها.

والتحقيق يفيد أن حملته الفكرية هذه ليست مقصودة لذاتها بل

---

(١) من حديث له مع وزير التربية والتعليم ومعاونيه، ٢٥/ ١٠/ ١٣٧٠.

لغيرها، حيث أنها تأخذ دور الإخلال ثم الاحتلال.

والمشعر بالأسى هنا أن خطورة هذا الغزو أكثر ما تظهر بالنظر إلى أهدافها التي تطال الناشئة ومعقد الأمل، والتي رسمتها أذرع الاخطبوط الاستكباري، ومن هذه الأهداف:

١ ـ سلخ الأجيال الصاعدة عن معتقداتها.

٢ ـ إبعاد الشباب الحماسي عن الفكر الثائر والثورة.

٣ ـ تبريد المجتمعات الإسلامية بالفكر الجامد والمتلبد، ونأيها عن الفكر المرن والحركي.

٤ ـ تغذية الأمة بوجبات متتابعة تبعث على الإنهزامية.

غير أن هذه الأهداف لم تغمض عنها عين الإمام الخامنئي دام ظله فها هو يكشفها ويفضها بعينه الساهرة فيقول:

«يروم الغزو الثقافي أن يسلخ الجيل الجديد عن معتقداته بضروبها المختلفة، فهو من ناحية يهز قناعة هذا الجيل بمعتقده الديني، ويقطعه من ناحية ثانية عن الاعتقاد بالأصول الثورية، ويهدف من ناحية ثالثة إلى قلعه عن هذا الطراز من الفكر الفعال الذي دفع الاستكبار والقدرات الكبرى لاستشعار حالة الخوف والخطر»[1].

ونشاط عائلة الغزو الثقافي يبالغ في الجرأة، فيعمد إلى بث ما يراه مناسباً من ثقافته، وما يخدم غرضه دون غيره من الأفكار فهنا «في

---

(١) الغزو الثقافي، ص ٣٨.

عملية الغزو الثقافي يقوم العدو بدفع ذلك الجزء من ثقافته الذي يرغب هو بدفعه إلى البلد الذي يروم غزوه، ويغذي الأمة التي يستهدفها بما يريد»[١].

لا ريب بأن الغازي الثقافي يتكفل أموراً ثلاثة:

الأمر الأول: التشكيك والتوهين. وقديماً قيل «خذ من التل يختل».

الأمر الثاني: الهدم بعد عملية التشكيك والتمزيق.

الأمر الثالث: الإستيطان والتموضع بغية ملء الفراغ.

* * *

(١) م. ن. ص ٣٨.



الاعتراف بوجود الغزو الثقافي

يرغب الإمام الخامنئي دام ظله من كافة المسلمين ـ سيما الواعين ـ أن يعترفوا حقاً بوجود «الغزو الثقافي»، فليس هو مجرد اصطلاح أعده أهل الفكر للغزل العلمي، أو للترف الفكري، وليس هو حبيس الأندية العلمية، ورهن الكتب والتآليف، وليست الساحة خالية من مضاعفاته، بل هو حقيقة تلامس المفكر والمثقف وعامة الناس.

لذا «علينا أن نصدق حقاً، ونقتنع بأننا عرضة اليوم لأمواج متدافعة من ضروب الغزو الثقافي»[١]، وأيضاً «علينا أن نتعاطى مع مسألة الغزو الثقافي بجد وبوصفها مقولة حقيقة»[٢].

إننا نرى وبالوجدان تحسس الإمام الخامنئي دام ظله من قضية الغزو الثقافي فنراه يقول:

«وأشعر إزاءه بحساسية خاصة تملأ وجودي وتأخذ بكياني قلباً وروحاً»[٣].

لقد تحتم علينا القول بأن دعوته دام ظله للإيمان بوجود هذا

---

(١) م. ن. ص ٤٢.

(٢) م. ن. ص ٣٨.

(٣) في حديث له إلى أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية بتاريخ ٢٠/٩/ ١٣٧٠.

الغزو إنما انتجتها عدة عوامل منها:

١ ـ أن الإسلام مستهدف وكذا كل مسلم ثوري.

٢ ـ أن الأعداء لا قِبل لهم على المواجهة المباشرة.

٣ ـ أن الإسلام قائم على ركن ركين وهو الفكر، ومع انهدام الفكر ينهدم الإسلام.

٤ ـ أن هناك أشخاصاً يجيدون استخدام سلاح الفكر من الداخل لصالح المستكبرين.

وبما أن آثار الغزو الثقافي موجودة في كل الميادين فلا داعي للإنكار بتاتاً، فالآثار والبصمات ملموسة في الجامعات، والوسائل الإعلامية، والشوارع والأزقة، ووسائل الاتصالات، والكتب والمجلات، والأدب، والفن.

ومن هنا «لا يسعنا أن ننكر ما هو موجود وواضح للعيان في الجامعة وخارج الجامعة، بل وحتى في وسائلنا الإعلامية وأجهزة الاتصال العامة التي تختص بنا، كما لا يسعنا أن ننكر ما هو موجود في ثنايا الكتب التي تؤلف وتلك التي تترجم»[١].

وبناءً على هذا فإننا وبأدنى تأمل إذا دققنا في طبيعة الصراع بين الإسلام الثوري وخصومه، سوف نخلص إلى وجود هكذا غزو، لا سيما وأنه يثبت فعالية فتاكة في المجال الفكري أكثر منه في المجال الحربي.

---

(١) م. ن.

والمضحك المبكي في آن هو محاولة تلك الثلة المستهزئة في مواجهة الغزو الثقافي بمجرد «التجاهل» و«التهميش» و«الإنكار»، فإن هذا الأمر لا يجدي نفعاً بل هو معدوم الفائدة، فلا بد إذن من الإذعان والاعتراف بوجود الغزو الثقافي ومن ثمّ مواجهته فإن «الغزو الثقافي الذي اكدنا عليه مراراً، هو تعبير عن قضية واضحة، لا يسعنا أن نقضي على وجودها عملياً بمجرد إنكارها... الغزو الثقافي هو واقع قائم وموجود، وإذا أنكرناه نكون مصداقاً لكلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول:

ومن نام لم يُنم عنه...»[1].

***

(١) الغزو الثقافي، ص ٣٧.

الغزو الثقافي يستهدف الإسلام فكراً وممارسة

فالإسلام يحتوي كطرح متكامل على أمرين مهمين هما:

١ ـ الفكر.

٢ ـ والممارسة.

والغزو الثقافي يستهدفهما معاً على أساس أن الفكر يشكل منطلقاً للممارسة، والممارسة ترجمة عملية للفكر، ولا يخفى أن المقصود بالممارسة هو عين «الحركات الثورية» أي الحركة التي أخذت على عاتقها إحياء الإسلام الأصيل.

ويعمل الغزو الثافي في هذا السبيل بصمت وهدوء وروية، لأن «الغزو الثقافي كالعمل الثقافي، إذ هو ممارسة تتسم بالهدوء، وعدم إثارة الضجيج، ولفت الانتباه»[١].

وعمله منصب على هدم الفكر المضاد أو تشويشه على الأقل، ومن ثم تقويض دعائم الممارسة، ورميها في مثار المغالطات من قبيل أن جميع انجازاتك ضد أمريكا وإسرائيل كانت بتخطيط مسبق منهما، أو من قبيل الإيحاء إلى فئة من المسلمين ليست على انسجام مذهبي مع

---

(١) في حديث له إلى عدد من فضلاء الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٦٨/٩/٧.

فئة أخرى بأن هذه الفئة الأخرى تقاتل إسرائيل ادعاءً ولكنها بالحقيقة هي متحالفة مع إسرائيل في الواقع!!

وهذا ما خبرناه عن بعض المسلمين حينما اتهموا ممارسات الجمهورية الإسلامية في إيران حفاظاً على الإسلام، أو دعماً للمسلمين في فلسطين، أو حرباً بوجه أمريكا وإسرائيل؛ بأنها جميعاً ممارسات فارسية غير إسلامية، أو ممارسات معادية للسلام في الشرق الأوسط، وليست هذه الممارسات وهذه النهضة، والأعمال التحررية هي من صنع الإسلام!! لا؛ الإسلام لا يستطيع إنجاز هذه الأعمال!!

بل حتى النصر الذي احرزته المقاومة الإسلامية في لبنان من خلال قهرها لإسرائيل ـ معبود زعماء الشرق الأوسط ـ حدا ببعض ضعاف النفوس وبتأثير من الغزو الثقافي ليقولوا:

هذا ليس نصراً لهؤلاء، والإسلام لا يستطيع أن يقوم بهذا الانجاز وإنما إسرائيل هي التي ارادت أن تنسحب وتنفذ القرارات الدولية دعماً لجهود السلام!!!

بهذا النحو يرمي الغزو الثقافي الممارسات الإسلامية بمغالطات وشبهات قاتلة، بل لا مفر من القول بأن الغزو الثقافي يستهدف حتى الإسلام المجرد عن الأصالة والدعوة إلى الفعل والتحرك، أي «الإسلام السطحي»، وبتعبير الإمام الخامنئي دام ظله «الإسلام الشعبي».

وعلى هذا فالغزو الآنف يتحرك دؤوباً لإبادة الإسلام بجميع صيغه وقراءاته المختلفة، اللهم إلا الإسلام القابع في أروقة القصور

والمتاحف والمرتبط بالأجهزة الإستعمارية الاستكبارية، يقول الإمام الخامنئي دام ظله.

«ثم اليوم غزو ثقافي عظيم يمارس ضد الإسلام وفي مواجهته، وهذا الهجوم الواسع لا يقتصر على الثورة الإسلامية، ولا يستهدفها لوحدها، بل هو يتعداها إلى الإسلام نفسه، يكتسب الآن الغزو الثقافي لشدته، وصفاً استثنائياً عجيباً، وهو يمتد على أبعاد وسيعة ثقافياً واجتماعياً وسياسياً... وهذا الهجوم لا يقتصر على أحد بل هو ينال حتى صيغة الإسلام السائد بين جماهير الناس [ما يُعرف بالإسلام الشعبي]، في الجزائر، مثلاً، الصيغة الوحيدة المستثناة من الهجوم هي صيغة الإسلام المرتبط بالأجهزة الاستعمارية.. وإذا كان الهجوم لا يوفر الإسلام بمعنى كونه عقيدة شعبية لعامة الناس، فما بالك بالإسلام الأصيل... الإسلام الثوري»(١).

ولأجل أن هذا الغزو يعمل بصمت، كان من البديهي كونه يحمل خطورة أشد من هذا الغزو، المادي الصاخب اقتصادياً كان أم عسكرياً، فهو غزو «يشبه قنبلة كيميائية تنفلق خلسة دون أن يحس بها أحد، ولكن بعد انفجارها ببضع ساعات ترى الوجوه والأيدي قد أصيبت جميعاً»(٢).

ولا يبالغ الإمام الخامنئي دام ظله عندما يعتبر أن الغزو الثقافي خطير جداً وذلك لأننا لا نحس به إلا إذا وقعنا في شراكه فإن «الخطير

(١) م. ن.
(٢) م. ن.

فيها ـ أي الجبهة الثقافية العظيمة ـ أننا في اللحظة التي ننتبه إلى آثارها نكون قد أصبنا بها وشملنا بلاؤها»[١].

وبناء على ما تقدم فالغزو الثقافي يستهدف الإسلام بكل صيغه، وبالخصوص الإسلام الأصيل، أو الإسلام المستبطن لشذرات من أصالة.

«وفي كل الأحوال يستهدف التفكير المضاد [الغربي ـ الاستعماري] الإسلام الأصيل، وإذا شئنا أن نكون أكثر دقة، فهو يستهدف الدين الأصيل والذي نعنيه بالدين الأصيل النقي هو نمط من الفكر يتجاوز الثورة الإسلامية، فالهجوم المضاد لا يقتصر على الثورة وحدها، بل هو يستهدف الإسلام برمته، وهو يستهدف في وجه من الوجوه أي دين يحس [الغرب] أنه ينطوي على أصالة»[٢].

لكن لا يخفى علينا بأن الهجوم على الدين هو يرمي بثقله على الإسلام الثوري المتموضع في إيران لأجل أنها أضحت قبلة الأحرار، ورواد الخلاصة.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«مثل هذه الحالة من الأصالة والنقاء الديني مستهدفة في أنحاء العالم كافة، بيد أن المركز الأصلي لها في إيران، وقد انتبه (الغرب) إلى أن إيران أضحت هي الموطن الأصيل لهذه الحالة»[٣].

---

(١) م. ن.

(٢) م. ن.

(٣) م. ن.

وسائل الغزو الثقافي

كانت الوسائل المنتخبة للغزو العسكري معروفة نسبياً كاعتماد الجيوش، والسلاح، والعتاد، وأساليب الحرب المعهودة كالمباغتة، والسرية، والرصد، والتهويل وغيرها.

أما الغزو الثقافي فله وسائل مغايرة تتعدد بحسب طبيعة المنطقة أو الشعوب المعرضة للغزو، فهناك الصحف المختلفة، والمجلات، والتلفاز، والمذياع، والأفلام السينمائية، والمسارح، والموضة والأزياء، والأندية الفكرية، والكتب المؤلفة والمترجمة، مضافاً إلى ترويج المصطلحات المغرضة وتعويمها. فإنه «من علامات الحالة اليوم، هي طبع كتاب هنا، وانتاج فيلم هناك، ونفوذ الفيديو إلى البلد»[1].

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«ويقوم الغزو الثقافي على ركنين جديدين باهتمامكم.. الركن الثاني: ويتمثل في الهجوم الثقافي على الجمهورية الإسلامية... بوسائل مختلفة، من مصاديقها في داخل بلدنا إنتاج الأفلام

---

(١) الغزو الثقافي، ٣٨.

والمسلسلات التمثيلية التي تنسق مع أهدافهم، ونشر الكتب والمجلات التي تُغذى بتوجيه خارجي»[١].

وبما أن الجماهير الشعبية الكثيفة والمتعملقة لا يُتسنى محاربتها بالعتاد والسلاح لكونها شعلة دفّاقة وزاخرة بالحمية، فلا بد من القضاء على روحيتها وتعاضدها مع الإسلام الأصيل بطرق أخرى.

«فالقاعدة الجماهيرية العريضة لا توجه بالدبابة والمدفع والرشاش، وإنما بالكتاب والمجلة والقلم»[٢].

وليلتفت إلى أن الغزو الثقافي قد بلغ في غزوه مرحلة غدا فيها يغزو عمق الديار، ويتنقل بين باحاتها، ويرتجز على منابرها، ويعكف في مساءاتها وصباحاتها.

وهذا الأمر حداً بالإمام الخامنئي دام ظله أن يثير التساؤلات والاستهجانات فيقول:

«لا أدري ماذا دهانا، حتى تُزرق الثقافة الغربية بمثل هذا الشكل في أبداننا، في حين أننا نمتلك إمكانية الإختيار، ما هو حاصل أن موج الثقافة الغربية يغزونا وينفذ في وجودنا من خلال الراديو والتلفزيون وكتب الموضة والموديلات والمجلات، ومن خلال الموج الدعائي والصخب الإعلامي»[٣].

---

(١) م. ن. ص ٥٣.

(٢) في حديث له إلى أعضاء اللجنة المركزية لجمعية النساء، بتاريخ ١٥/ ٢/ ١٣٧١.

(٣) الغزو الثقافي، ص ٤٠.

إذاً الوسائل كثيرة، وما زالت أعدادها تكثر، لأن سمة هذا العصر تجعل المنافذ مفتوحة للانقضاض على الأصالة الدينية، على أن هذه الوسائل صغيرة جداً أمام وسيلة فتاكة يستخدمها رواد الغزو الثقافي وهذه الوسيلة تتمثل «بعملاء الداخل».

فالغزو الثقافي يعمل بطريقتين مباشرة وغير مباشرة، وهؤلاء العملاء يستخدمهم الغرب المستكبر ليعملوا بطريقة غير مباشرة على تنفيذ مخططاته، ورسم ما يرغب ترسيمه داخل المجتمعات الإسلامية.

وأخطر ما يقوم به هؤلاء هو تسريب سموم الثقافة الغربية السيئة والمضرة وانفاذها إلى عمق القواعد الخلفية، أو الخطوط الخلفية للثورة الإسلامية.

فقد «كان مبتغاهم أن يكسبوا الخطوط الخلفية للثورة إلى صفه.. فإن الخطوط الخلفية تتمثل بالقاعدة الشعبية العريضة والعظيمة، فهدفهم إذن كسب الجمهور العريض من أبناء الشعب»[(١)].

نعم فالمجتمع الإسلامي الحركي والثوري ينقسم إلى قسمين اثنين هما:

الأول: الخطوط الأمامية: كالقادة، وإدارة الدولة الإسلامية وبالطبع فإن لهؤلاء دور ريادي.

الثاني: الخطوط الخلفية: أي الشعب بجميع شرائحه وصنوفه، وعندما يقوم هؤلاء بالتأثير على الخطوط الخلفية فإنهم يوجدون شرخاً

(١) م. ن. ص ٤١.

مهولاً بين الشعب والقيادة؛ الأمر الذي ينعكس سلباً على القيادة لأنه يفقدها مشروعية وجودها ودوامها.

إن عملاء الداخل يدخلون إلى الساحة الإسلامية بدعم غربي لا يتصوره عاقل، وهؤلاء يتدرجون في محاربة المسلمين من الداخل على ثلاث مراحل:

الأولىٰ: ينتهجون مسلكاً علمياً وثقافياً محضاً حتى يشار إليهم بالبنان في حقول العلم والثقافة والمعرفة وربما الإبداع.

الثانية: من مواقعهم الفكرية والثقافية والتخصصية والإبداعية، يعملون على التدخل بالسياسة بنحو غير علني.

الثالثة: بعد أن تؤتي جهودهم السرية أكلها يسفرون عن أهدافهم بشكل صريح من بوابة الانتقاد وصولاً إلى التصريح عن لا بدية كونهم البديل الصالح.

ولقد أعطانا الإمام الخامنئي نموذجاً حياً عن هؤلاء وذلك عبر ذكره لعملاء الاستكبار العالمي داخل الجمهورية الإسلامية في إيران؛ حيث أن هؤلاء العملاء وفي بداية انتصار الثورة الإسلامية في إيران كانوا:

١ ـ يخافون اقتحام المخاطر.

٢ ـ يقبعون في عزلة تامة.

٣ ـ يتهامسون في دورم خفية، ولا يجرأون على التصريح بنواياهم.

ولكن هؤلاء بدأوا يدخلون الساحة بتشجيع من الغرب المستكبر وبالمجالات التي يجيدون العمل فيها كوسائل الإعلام، والمطبوعات، ثم أنهم ترقوا إلى المجال الثقافي بكل أبعاده، ثم دخلوا إلى عالم السياسة، ثم ما لبثوا أن انتقدوا النظام الإسلامي، وعلى هذا فقد توزع دور هؤلاء على ثلاث جهات:

الجهة الأولى: المساحة الإعلامية مقروءة ومسموعة ومرئية.

الجهة الثانية: المساحة الثقافية بكل تفاصيلها.

الجهة الثالثة: المساحة السياسية.

ولكن بما أن الخطوط الأمامية على الأغلب واعية ومحيطة بالأمور، فإن مؤامرات هؤلاء العملاء لن تنطلي على هذه الفئة الخاصة.

ولذا قال الإمام الخامنئي دام ظله:

«**نحن ننتمي إلى الصف الثقافي، وبذلك لنا قدرة التمييز الثقافي**».

فالمشكلة إذن تكمن في نفوذ هؤلاء إلى الصف غير الثقافي، وعلى هذا فإن على الصف الثقافي التحذير من هذا الخطر الذي يعكس من الداخل وجهة نظر الأعداء في الخارج، ولقد أجاد الإمام الخامنئي دام ظله عندما قدم لنا هذا النموذج وحدثنا عنه قائلاً:

«**وقصة هؤلاء أن أحداً منهم لم يكن يجرؤ في السنوات الأولى من عمر الثورة على عمل أدنى شيء، ومرد ذلك يعود إلى طبيعة**

هؤلاء... فأنا أعرف أكثرهم عن قرب قبل الثورة... هم يتهيبون الأخطار... لقد دفع الحماس الثوري الذي ترافق مع بداية الثورة هذه المجموعة إلى أن تختار العزلة... بيد أنهم عادوا ليدخلوا الساحة تدريجياً، أصدروا في البداية نشرة، ثم عادوا لممارسة الكتابة والخطابة والشعر.. هدفوا في البداية أن ينفذوا إلى السينما والمطبوعات، بل وحتى مؤسسة الإذاعة والتلفزيون التي تملكها الدولة، وجهدوا أن يكون لهم حضورهم في كل جزء ثقافي، تحركوا أولاً بلباس النشاط الثقافي المحض، ولكنهم عادوا الآن ليخوضوا المسائل السياسية، فبادروا إلى توجيه نقدهم إلى الدولة والنظام، بل وضعوا الخلفية الأساسية التي تقوم عليها مشروعية النظام في دائرة الشك والاستفهام»[١].

ومع كل ما يقوم به هؤلاء من دور عظيم الخطورة، ومن خدمات جمة لا تعد ولا تحصى للأعداء فإنه لا مناص من القول بأنهم أقزام بحجم دناءة نفوسهم، ومحدودية توجهاتهم فإن «هؤلاء أسرى الأهواء النفسية غرقى بأهواء ذواتهم»[٢].

ولا يستقلن أحد بعددهم فهم ليسوا قلة، وهل أسارى الدنيا وعبيد المال كانوا يوماً من الأيام قلة؟!! كلا، «إنهم ليسوا قلة، أولئك المأجورين من حملة الأقلام الذين باعوا دينهم، وتجاوزوا وجدانهم وضميرهم، وجلسوا على مائدة الفساد الاستكباري، وراحوا يحققون بأقلامهم مآرب الاستكبار... ينظمون الشعر... ويمارسون شتى

---

(١) م. ن.

(٢) م. ن. ص ٥٢.

الفعاليات. . . أغلب هؤلاء في الخارج، وبعض جماعاتهم تمارس نشاطها ولا تزال داخل البلد»[١].

ولا نغفل بأن الميادين التي يتحرك من خلالها الغزو الثقافي كثيرة، ولكن أكثرها حيوية تلك الميادين المستوعبة للشباب من قبيل:

١ ـ المدارس والصروح العلمية.

٢ ـ الشوارع، والأندية.

٣ ـ الحوزات العلمية.

٤ ـ الجامعات، وهي معقد آمال الغزو الثقافي.

وبناءً على ما تقدم فإن الغزو الثقافي «نراه فجأة وقد ظهرت علائمه وانبثت آثاره في مدارسنا وشوارعنا وجبهاتنا وفي حوزاتنا»[٢].

وعلى العموم فلا ريب بأن للغزو الثقافي وسائل وأدوات وميادين، وهي في دقتها وفعاليتها وسيرها الدؤوب وفق مخططاتها تحتاج إلى وعي حاذق لمواجهتها، وليس يتسنى ذلك إلا من خلال الإنصات لإرشادات الواعين للساحة والمخلصين لها.

* * *

---

(١) في حديث له إلى عدد من فضلاء الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٦٨/٩/٧.

(٢) الغزو الثقافي، ص ٥٢.

قضايا حيوية يثيرها الغزو الثقافي

ثمة قضايا عميقة وحيوية يثيرها الغزو الثقافي، وإنما يعمل على إثارتها على سبيل قولبتها، وطهيها في موقدته الاستعمارية، ومن ثم صبّها في أطباقه الذهبية أمام مرأى العيون، والسوداء الجحيمية خلف الظهور، ليقدمها إلى الشعوب المغزوة وفق ما يريد لا كما هي على حقيقتها.

وقد اعتمد في كل هذا العمل على عاملين مهمين:

الأول: توحده وهيمنته في عملية إلقاء الأفكار وتقديمها، وابتكار كل ما هو جديد من هذا القبيل.

الثاني: عامل التلقي والالتقاط من قبل الشعوب والأمم المغزوة.

وطبعاً فإن الذي جرّ الغازي إلى هذه الآحادية في تصدير الأفكار، وجرّ المغزو إلى هذه الانهزامية في استيراد الأفكار هو القوة في مقابل الضعف.

ونحن عندما نعترض على الغرب لا نعترض عليه لأنه حصل على «القوة» بل أننا ننظر بإعجاب وتقدير لحصوله على القوة، وفي الوقت نفسه نلوم الشعوب المهزومة على كونها ضعيفة سيما الإسلامية منها، لكن اعتراضنا على الغرب من خلال أمرين:

الأول: في الوسيلة التي استخدمها لحيازة القوة:

فإن كانت وسيلته شريفة عبر العلم والعمل فنعماً هي، وإن كانت خسيسة كالغدر والخيانة والكذب، وسرقة انجازات واختراعات الآخرين ونسبتها إليه ففي هذا كل العيب.

الثاني: في طريقة استخدامه لهذه القوة:

حيث أنه يستخدمها لقهر الشعوب، وإذلالها، وقتل الأبرياء وإفقارهم.

وعلى أي فإن قوة الغازي تتوزع على موارد اقتصادية، وعلمية، وعسكرية، وإعلامية، وموارد عديدة أخرى.

وبالطبع فإنه لا يتسنى لقوة من القوى أن تنتج القوة إلا بفضل عوامل ثلاثة:

الأول: عامل الأمن والأمان.

الثاني: عامل الرفاهية الاقتصادية.

الثالث: عامل الإبداع والكفاءة والعمل الجهيد الجدي.

وبفضل هذه القوة بدأ الغزو الثقافي يعمل لتنفيذ مخططاته، وسوّق هذه القضايا الحيوية لخدمة أغراضه، مستغلاً تناسب بعض المصطلحات مع ما يريد ترويجه وتحقيقه، فوضع هذه المصطلحات وفسرها بما يهوى ويشتهي، وبدأ بتصديرها إلى الشعوب القابلة للتلقي والالتقاط، وما برحت تستسيغ توهجاتها المزيفة، الأمر الذي أدى إلى مضاعفات خطيرة أهمها:

١ ـ تعزيز حضور المستعمر، ووقوفه وراء كل حركة وسكون في داخل البلدان المغزوة.

٢ ـ تسهيل عملية السيطرة والتنفذ على البلاد والعباد دون تكلف أي مشقة، أو ركوب عناء.

٣ ـ إثارة القلاقل والفتن، والتشابكات والصدامات بين شرائح المجتمعات المغزوة، بدعوى اللحوق بالحضارة والحداثة من فئة، وارادة الحفاظ على التراث وارادة المواجهة من فئة أخرى.

٤ ـ توهين قوى المواجهة وجعلها في عزلة؛ وكأنها تسبح وحيدة في غير العالم المهيمن عليه.

٥ ـ إشغال الشرائح الفكرية بملهاة «المصطلحات» فهذا يدعو إلى دراسة «موضوعية»، وآخر إلى دراسة «نقدية»، وثالث إلى عقد مؤتمر لبحث هذا المصطلح أو ذاك، ورابع يدعو إلى اتخاذ موقف «المسالم»، وخامس يعاكسه ليدعو إلى اتخاذ موقف «المهاجم»!!

مع أن الأمر برمته لا يحتاج إلى التلهي بقضية المصطلحات فالمسألة واضحة ومعروفة؛ إنها «الحرب» فبدلاً من أن يرسلوا لك صاروخاً لإعلان الحرب عليك، فإنهم يرسلون إليك مصطلحاً بمجرد أن تقرأه تعرف بأن الحرب قد أُعلنت عليك، أنها الحرب لكنها غير متقومة بطرفين، بل هي حرب من طرف واحد، وما على الجانب الآخر إلا تلقي الضربات والكدمات، ومن ثم عليه أن يقدم تحية شكر وامتنان لصاحب العقوبة لأنه يطوره ويعمّل على إحلال السلام في ربوعه.

وعلى كل الأحوال فإن القضايا الحيوية التي يثيرها الغزو الثقافي

كثيرة ومنها:

١ ـ فصل الدين عن السياسة.

٢ ـ الأصولية.

٣ ـ العولمة أو (النظام العالمي الجديد).

٤ ـ الحرية.

٥ ـ الإرهاب.

وسنتحدث عن كل قضية من هذه القضايا بالترتيب ومن الله عز وجل العون والسداد.



فصل الدين عن السياسة

فالغزو الثقافي كأي منحى هجومي آخر له تدرج في إعمال غزوه، ولذا فإن لم يستطع القضاء على الدين فهذا لا يعني أنه قد اعتزل المعركة، بل هو يمارس دوره في المعركة من خلال العمل بالتدريج على شلّ حركة الدين، وذلك من خلال إقصاء الدين عن مسرح الحياة، أي فصله عن السياسة.

وبما أن الإسلام يقوم على السياسة كما هو قائم على العبادة، فإن المستهدف هاهنا هو الإسلام.

لقد أمعن الغزو الثقافي في إرساء مقولة «فصل الدين عن السياسة» عبر أبواقه الإعلامية الصاخبة، وعبر كل حشوده المادية والبشرية، وذلك بغية السعي لإبعاد الإسلام ونأيه عن «عوالم القرار» و«السياسة» و«الاقتصاد» و«القضاء» وغيرها، لتكون هذه العملية ضمن خطة متكاملة للقضاء على الإسلام وإزالته من النفوس والنصوص.

إن نفس وجود الإسلام وحضوره في زوايا البقع العبادية هو بمثابة «الحلق الشجي» بالنسبة للغزو الثقافي فلا يستطيع لفظه ولا ابتلاعه، فكيف إذا اخترق الإسلام بنبضه الثوري السوح العامة، وجدران السياسية؟!!

ولذا ولأجل خطورة حضور الإسلام في عمق الدائرة العالمية طرح الغزو الثقافي مصطلح «العلمانية»، وفصل «الدين عن الدولة» وجاء طرحه هذا منسجماً «مع سوابق معاشة» لدى المجتمعات، الأمر الذي جعل هذا الطرح مقبولاً لدى الجماهير، وهذه السوابق هي:

١ ـ تجربة الناس القاسية مع رجال الدين في أوروبا جراء حكم البابوات.

٢ ـ تجربة المسلمين القاسية مع الخلافة الإسلامية المنحرفة عن الإسلام، وتسميتها بالخلافة فيه تجوّز وهي إلى الملكية أقرب.

فقد عاث الخلفاء سيما في الحقبتين الأموية والعباسية وما بعدهما ـ فساداً وقهراً بالأمة، ولم تعرف الخلافة الإسلامية نقاءً وطهراً إلا في عهدين هما عهد النبي ﷺ، وعهد علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا أعرف استثناءً آخر غيرهما.

٣ ـ تعوّد الناس في الشرق على عدم وجود حكومة دينية قائمة على الإسلام بعد سقوط الدولة العثمانية، وبالتالي عدم قرن الدين بالسياسة.

فعلى فترة مديدة غاب الدين عن القضايا السياسية، نعم كانت تحضر بعض الحركات الدينية في فترات متقطعة، لتعلن ثورة هنا، واعتصاماً هناك!! ولأجل غياب الدين عن السياسة في أغلب الأحيان، بات تدخل الدين في السياسة أمراً مستهجناً ومستغرباً لدى عموم الناس.

٤ ـ هذا الشعار «فصل الدين عن الدولة» لقي حماسة كبيرة لدى

طامحين كثر لأخذ السلطة، فضلاً عن الارتياح الكبير الذي أحدثه هذا الشعار للزعماء والملوك في بلاد المسلمين.

وبالطبع فإن شأن هؤلاء كذلك لأن الدين يمنعهم من الإمعان في الظلم، والعمل على تحقيق الرغبات الشخصية، والنزوات المدمرة.

نعم هذا «السوابق» فسحت المجال لتلك الغربة القائمة بين الدين والشعوب أن تستوطن في وجدانهم ـ طبعاً الدين المقرون بالسياسة لا الدين الطقسي ـ وفتحت للمستعمر باباً واسعاً لإعمال غزوه.

وإذا كانت تجربة الدين القاسية التي ألمّت بأبناء أوروبا أثناء حكم البابوات هي خاصة بهم، إلا أن الغزو الثقافي نجح في جرّها إلى أبناء الإسلام، مما أدى هذا إلى اقناعهم بأن وضعهم مشابه لتلك الحالة، ومما عزّز هذا الأمر شعور المسلمين بالتراجع، وتعزيتهم سبب تقدم أبناء أوروبا إلى فصل الدين عن الدولة، وعن السياق العام لمجريات الحياة.

وأيضاً مما ساعد على إذكاء هذا الشعار «فصل الدين عن السياسة» هو نهوض رجال كثر وقيامهم بثورات ذات طابع دنيوي «كالشيوعية» و«الاشتراكية» و«القومية» وغيرها، وقد نجح بعض هؤلاء بالوصول إلى الحكم، وبادروا إلى تطبيق شعاراتهم، فكانوا ممن طبقوا شعار فصل الدين عن الدولة عملياً، بل عمدوا إلى الأطباق على الدين والحرب عليه وعلى رواده ودعاته(*).

(*) في مقالة تفضلت مجلة الوحدة الإسلامية نشرها لنا مشكورة، تحدث عن هذا الموضوع وكان حاصل الفكرة: أن الدين إذا ترك السياسة فإنها لا تتركه.

إن الإمام الخامنئي دام ظله استطاع فضح المخطط المعمول به من وراء طرح شعار فصل الدين عن السياسة، من خلال كشفه عن نقاط ثلاث:

الأولى: أن هذا الشعار هو مفردة من مفردات أخرى، وضعت ضمن خطة شاملة.

الثانية: أن المستهدف في هذا الشعار هو الإسلام وليس أي دين آخر، وأن محل هذا الغزو هو البلدان الإسلامية.

الثالثة: إن هذا الشعار لم يعد نظرياً بقدر ما غدا شعاراً عملياً.

فليست عملية الغزو الثقافي وليدة الصدفة، أو عقيب انفعال آني، بل هي ضمن مخطط مبرمج ومقنن.

وليس شعار «فصل الدين عن السياسة» مجرد قضية فكرية يريد الغزو الثقافي تطبيقها في أي مكان، بل هو يخص بها عمق البلاد الإسلامية، وبالأخص يستهدف بها «الإسلام الثوري».

وليست هذه القضية في طور التنظير فقط؛ بل أصحبت عملية؛ «فقد عمد الأعداء في إطار خطة معدة سلفاً إلى عزل الدين في البلاد الإسلامية عن ساحة الحياة، وحققوا بذلك عملياً شعار فصل الدين عن السياسة»[١].

ولقد عمد الغزو الثقافي إلى دعم هذا الشعار «فصل الدين عن

---

(١) من بيان له في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام الخميني «قده»، بتاريخ ١٠/ ٣/ ١٣٦٩هـ. ش.

السياسة» بتساؤلات عدة أثارها في أوساط الشعوب الإسلامية، وهذه التساؤلات تخلص إلى عبارة واحدة مفادها:

«قصور الدين الإسلامي عن مواكبة الحداثة بمضاعفاتها وإرهاصاتها المثيرة».

فهم يقولون للمسلمين: عليكم اليأس من محاولة تحكيم الإسلام بالشؤون العامة، لأن الدين الإسلامي هو سبب تخلفكم وجمودكم؟!!

فعدم تحقيق الرقي والتطور والحداثة، وبالتالي تخلفكم، وضعفكم، وهزيمتكم، وفشلكم ليس لأجل عدم وحدتكم، وعدم طاعتكم لله ولرسوله، وعدم استقلالكم ورجوعكم إلى الدين النقي، وعدم عملكم على الاكتفاء الذاتي، وليس بسبب عجزكم وترككم للدين، بل المشكلة كل المشكلة في الدين الإسلامي.

لقد أشاع الغزو الثقافي مسألة قعود الدين وعجزه عن «المواكبة» و«المشاطرة» و«المسابقة» لكل أشكال «التجدد»، وبمقتضى هذا الشياع يتم تحقيق أهداف جمة، منها إذعان الشعوب لهذه الفكرة التيئيسية، وتحرك الشعوب عملياً قبال «الدين» لتنبذه من حياتها العامة، وتمنعه من التدخل في السياسة، ولتتبرم من «الحركات الثورية الإسلامية»؛ وبالتالي لا يجد الدين محلاً له سوى المبيت في قمقمه الصغير، حبيس جدران المسجد الخافت صوته، ومضيفاً في عرصات المقابر، وممازجاً لآهات وأنّات المرض في المشافي.

ولقد استطاع الإمام الخامنئي دام ظله أن يكشف النقاب عن هذه المحاولة من قبل عائلة الغزو الثافي فنراه يقول:

«إنهم يعتقدون بفصل الدين عن السياسة، ويجهدون لإشاعة اليأس من قدرة الدين على مواكبة التحولات العالمية المدهشة»[١].

إن محاولة الغزو الثقافي القاضية بتيئيس الشعوب الإسلامية من جدارة الدين، جاءت استجابة لصرخات الظلمة عبر التاريخ إلى الآن، وذلك لأن الدين كان ولا يزال جبهة قوية وصلبة في مواجهة كل أشكال الظلم، وأنواع الاستعباد، وصنوف الاستغلال كما لا يخفى.

وبما أن القوة أصبحت الآن في يد عائلة «الغزو الثقافي»، كانت الفرصة مؤاتية لإبعاد الدين عن السياسة، وبالتالي عن الحياة.

على أن أي دين يستطيع مواجهة الظلم بقوة وصرامة أكثر فهو بلا ريب يكون مستهدفاً أكثر من غيره من باب «الأولوية».

ولقد شهد التاريخ بأن الإسلام الأصيل كان خصماً قوياً للظلم والظالمين على مر التاريخ، ولقد أذاق الإسلام كل عدو للإنسان والإنسانية عقاباً تأديبياً صارماً.

ولأجل هذا كان التركيز الجاد من قبل الغزو الثقافي على الإسلام، فاستطاع تحويل شعار «فصل الدين عن السياسة» إلى نغمة يتراقص على إيقاعها كل من المفكرين المخدوعين، والكتّاب المأجورين، والسذج من الناس.

ومن الواضح أن تحويل مصطلح ما إلى نغمة، يكشف عن قوة

---

(١) الغزو الثقافي، ص ١١٣.

الإعلام والدعاية عند الغزو الثقافي، وبالتالي عن قوة تأثيره في نفوس وأسماع الشعوب الإسلامية.

لكن وعلى الرغم من قوة «الغزو الثقافي» بيد أن حضور الإسلام، وفعاليته في التأثير حوّل المستعمر إلى التركيز المجد على سبيل حرب الإسلام، وما تصّعد نغمة فصل الدين عن السياسة إلا شاهد حال على شدة وقوة الإسلام الأصيل.

والخطأ الكبير الذي يقع فيه الناس الذي ينتمون إلى الإسلام، هو بُعدهم عن روح الإسلام، وإقصاء الدين عن شتى ميادين حياتهم، لأن هذا خوّل المستعمر ادارة عنان الإنسان المسلم، وخطف البسمة من شفاه أطفاله، وسحب الإرادة من أجياله، ولهذا فإن من الحري تفويت الفرصة على الأعداء كي لا يتسنى لهم الانتقام من «الإسلام» لمجرد أنه أذاقهم ضربات قاصمة على مر التاريخ، ولمجرد وقوفه الآن بوجه أعاصير الحقد، وأرياح التسلط، وزوابع الفساد.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«بديهي أن نغمة فصل الدين عن السياسة هي من صنع الأعداء الذين ذاقوا الضربات لإقصاء الدين عن ساحة الحياة، ليخلوا لهم الجو ويتسنى لهم أن يُمسكوا بالشؤون الدنيوية للناس، ويتحكموا بمصير الناس»[١].

لقد أكد الإمام الخامنئي دام ظله على مقولة الإسلام الحي

---

(١) من نداء له دام ظله إلى حملة الحجاج في ١٤/٤/١٣٦٨ هـ. ش.

النابض ليطرد من كل الأذهان فكرة عدم فعالية الإسلام وعدم «حضوره ومواكبته للحداثة».

ولكن ما يثير الاستغراب، ويدعو إلى التعجب هو كيفية إدارة الحرب من قبل الغزو الثقافي، فهو يشن حرباً لا هوادة فيها على مفهوم الدين، ولكنه في نفس الآن ينطلق من قاعدة دينية، ويسير وفق تعاليم دينية، ليحقق أهدافه الدينية، فكيف تحارب الدين وتنطلق من عقيدة دينية؟!! ومن هنا علمنا بأن المراد بالدين ليس إلا الإسلام.

ولأجل ذلك اعتبر الإمام الخامنئي دام ظله هذه الحملة من قِبل «الغزو الثقافي» هي في عداد الحملات الصليبية، غاية الأمر أنها حملات بلبوس مدني وحداثي.

يقول دام ظله:

«الدعاية الإستكبارية ضد الإسلام هي جزء من حملة صليبية جديدة توحي بأن الإسلام عاجز عن تنظيم الحياة السياسية والاقتصادية للشعوب الإسلامية»[(١)].

وعلى هذا فلا غرو بأن عائلة الغزو الثقافي تحمل حساً دينياً مبطناً، وحقداً تاريخياً مغلفاً بالحداثة والمدنية، فها هو «الغزو الثقافي» يضع غطاءً براقاً يخفي المعالم الصليبية، محاولاً إقناع الشعوب بأنها غدت ـ أي الصليبية ـ بالية أسوة بالأديان الأخرى ولن تعود.

لا يُشك أبداً بأن الغزو الثقافي يحفر عميقاً لنواياه الصليبية، ولا

---

(١) الغزو الثقافي، ص ١١٤.

يُشك بأن هذه الحملة تشاطرها حملة دينية أخرى هي أشد فِتكاً ولؤماً وهي الحركة الصهيونية، لكن ثمة ملاحظة هاهنا مفادها:

أن الذين يحملون روح الحرب الصليبية ليسوا أبناء الديانة المسيحية، بل هم أولئك السلطويين الحاقدين الذين يجيّرون الحرب الصليبية التاريخية لصالح أهدافهم التوسعية، وما يجرنا لتبرئة المسيحيين هو ما شاهدناه مؤخراً من قيام الشعوب المسيحية في الأغلب بمظاهرات ضد القرار الأمريكي بشن حرب على العراق، وما شاهدناه مؤخراً من أن الكثير من نشطاء السلام الأوروبيين قدموا إلى فلسطين المحتلة لمساندة الشعب الفلسطيني من جهة، ولإدانة الأعمال الإرهابية الصهيونية من جهة أخرى، وهذا يحتم علينا إدانة ما يقوم به حملة الفكر التكفيري في العراق من قتل وذبح أمام شاشات التلفزة بحق نشطاء السلام، وأحرار الصحافة والإعلام، وبالحق والحقيقة فإن الإسلام بريء من فعل هؤلاء.

وعلى أي فإن هناك هجمة استكبارية ضد الإسلام والمسلمين من قبل أرباب الغزو الثقافي، وإن أشد ما يُؤسف له ليس نفس الهجمة الاستكبارية بطابع ديني مقنع، بل لأن هناك من يعضد هذه الهجمة الحاقدة على الإسلام، وهم ممن يلبس زي علماء الإسلام، ويحتسب منهم، وعلى طريقة «ساعدني على نفسك».

فإن هؤلاء قد بدأوا بترويج الدعاية الاستكبارية بكل صدق وأمانة، اعتقاداً منهم أن هذا ما تقتضيه الدقة العلمية، والتكاليف الإلهية، وهذا بلا شك شأن العملاء لا العلماء!!

طبعاً هم لا يفعلون ذلك إلا لأحد اعتبارين:

الاعتبار الأول: أنهم يعملون بصدق ولكنهم يخدمون الاستكبار من حيث لا يعلمون، وهذه سذاجة إذ أن من شروط العالم في هذه العصور عدم كونه مستخدماً كمطية لأحد سيما أعداء الإسلام.

الاعتبار الثاني: أنهم يعلمون بما يروّجون من باب العمالة لأعداء الإسلام.

نعم عملاء الإستكبار الذين يلبسون لباس العلماء هم يفعلون ذلك تبعاً للأوامر المعطاة لهم.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«**بيد أن الذي يبعث على الأسف والأسى، أن يردد هذه المقولة من هم محسوبون على الدين، ويتزيّون بزي علماء الدين، إذ راحوا يكررون هذه المقولة ويبذلون جهدهم في ترويجها**»[١].

ولقد أدى انقسام العلماء حول «الحكومة الإسلامية» في عصر الغيبة الكبرى، إلى تغلغل مقولة «فصل الدين عن الدولة» في عمق الجدل العلمي والفكري، وبالتالي أخذت هذه المقولة موقعها القوي في عالم الفكر الديني، مع أن بداهة هذه المسألة تحول من الأخذ والرد فيها.

وحصيلة الأمر أن «الغزو الثقافي» أثار قضية «فصل الدين عن السياسة» و«الأرض عن السماء»، وحاول من خلال إثارته لهذه القضية

---

(١) من نداء له دام ظله إلى حملة الحجاج في ١٤/ ٤/ ١٣٦٨ هـ. ش.

الإيحاء بأن الدين يدعو إلى هذا الفصل وإلى مبدأ العلمانية، فهذا الدين ـ بحسب زعمهم ـ يدعو إلى إحياء الطقوس «والشعائر» الخاصة بالفرد، و«الزهد» ولكن لا شأن له بالجماعة، وبالسياسة، والحكومة، والإدارة وغيرها؛ فليس يحبذ الإسلام شيئاً منه.

إن الإمام الخامنئي دام ظله فرّق بين الإسلام ـ مع أن الإسلام واحد غير متعدد ولكن هذا بحسب المجاز ـ الذي يقدمه المستكبر للشعوب الإسلامية، وبين الإسلام الحقيقي الذي أراده الله عز وجل، وصدع به النبي محمد ﷺ، وكرسه الأئمة رضي الله عنهم، وحفظه علماء الإسلام الذين هم علماء بحق.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«أجل إنه الإسلام الأميركي هو الذي يسعى لعزل الناس عن السياسة، وفصلهم عن الوعي والبحث، ويبعدهم عن العمل السياسي، أما الإسلام المحمدي فهو ينظر إلى السياسة على أنها جزء لا ينفك عن الدين، ويحث المسلمين جميعهم على الوعي السياسي ويدفعهم لممارسة العمل السياسي[1]».

وعلى هذا فهناك مظاهر للإسلام الذي تريده أمريكا بوصفها رمزاً للاستكبار، وهناك مظاهر للإسلام المحمدي بوصفه رمزاً عالياً للسلام.

وعليه فهناك:

أ ـ مظاهر الإسلام الأمريكي القائمة على:

---

(١) ن. م.

١ ـ فصل الدين عن السياسة.

٢ ـ فصل الناس عن الوعي، والعمل على تجهيلهم بتراثهم.

٣ ـ فصل الناس عن البحث والتحري.

٤ ـ إبعاد الناس عن العمل السياسي، والتحرك الثوري، والتصدي للأعداء.

ب ـ مظاهر الإسلام المحمدي القائمة على:

١ ـ أن السياسة صنو العبادة، فهما لا يفترقا البتة.

٢ ـ أن الوعي السياسي وكذا العمل السياسي مما يشجع عليه الدين.

٣ ـ أن عملية البحث والتحري لا تقف عند حد في الإسلام.

٤ ـ إن التصدي لأعداء الإسلام من أعظم القربات، وأشد الطاعات وأوجب الواجبات.

ومع هذه المقارنة فعلى الواعي المتوسم بسمة المداقة أن يختار!!!

❊ ❊ ❊

الأصولية

عبارة الأصولية استخدمها الغزو الثقافي بطريقة سلبية، وجهد لإقناع الرأي العام أن كل من كان أصولياً فهو معدود من أعداء الحداثة والتجَدد.

وبالرغم من أن الغزو الثقافي لم يعطِ تفسيراً حقيقياً لمعنى «الأصولية» بيد أنه اكتفى بتبشيع معنى الأصولية، وعمل على إلصاقها بكل من واجه الاستكبار العالمي من المسلمين الثوريين.

ولا شك بأن للأصولية تساوياً من حيث الدلالة في المعنى، فيمكن أن تكون إيجابية، ويمكن أن تكون سلبية، فإذا كان الرجوع إلى الأصول الصحيحة يعني «الأصولية» فأي من الناس لا يحب أن يكون أصولياً؟!! سيما وأننا طالما سمعنا ونسمع عبائر من قبيل: «هذا ابن أصل»!! للدلالة على كونه ينتسب إلى أصل طيب ومرغوب، ومن قبيل قول القائل للآخر بغية تأينبه «ارجع إلى أصلك»!! يعني أنت الآن منحرف فارجع إلى أصلك السوي، ومن قبيل «من أنكر أصله فلا أصل له» للدلالة على أن المستحدث السيء لا ينفي عن القديم الحسن، هذا إذا كانت الأصولية تعني الرجوع إلى الأصول الصحيحة، أما إذا كانت الأصولية تعني الرجوع إلى الأصول الفاسدة فلا أحد من الناس إلا ويذم كل من يتصف بالأصولية.

لكن الغزو الثقافي لا يلحظ في عملية ترويجه لمصطلح الأصولية كِلا المعنيين «الصحيح والفاسد»، وأيضاً لا يعمل لشلّ الأصول الفاسدة وقلعها من جذورها، وإلا فلماذا لا يعمل مثلاً على محاربة الأصول الفاسدة الداعية إلى الخرافة والتخلف في بلاد الهند وإفريقيا؟!!

وهذا يعني أن الغزو الثقافي وربّانه الحقيقي أمريكا لا يعمل على ضرب الأصولية بالمعنى السلبي بقدر ما يعمل على اتخاذ هذا المصطلح كذريعة للقضاء على من يقف بوجه مصالحه وغاياته المعروفة، فهو يحشد كمّاً هائلاً من المصطلحات، ويعطيها صيغاً منفرة، ومن ثم ينعت بها أعداء مصالحه وأطماعه.

إن الإمام الخامنئي دام ظله ركز بهذا الصدد على عدة نقاط هي:

١ ـ الافتخار بكون المسلمين ممن لهم تلكا لأصول الصحيحة النابعة من الإسلام.

٢ ـ الافتخار بالعودة إلى الأصول.

٣ ـ التأكيد على أن الأصول الإسلامية هي سبب سعادة الإنسان، وسبب هدايته إلى الحق والحقيقة.

٤ ـ العمل على عدم تجنب تهمة الأصولية.

٥ ـ الدعوة إلى الرجوع لأصول الإسلام.

يقول دام ظله:

«دأبت أجهزة الدعاية الصهيونية على إثارة الضجيج حولنا وهي

تنسبنا إلى الأصولية، والأصولية إذا كانت بمعنى العودة إلى الأصول والقواعد الإسلامية الأساسية، فهي تعد من أعظم مفاخرنا، وعلى المسلمين في أي مكان من العالم أن لا يخشوا من اسم الأصولية أو يتجنبوه، ذلك أن أصول الإسلام المقدسة هي ضمان لسعادة الإنسان»(١).

وتستهدف عملية نعت المسلمين بالأصولية مضافاً إلى ما ذكر إلى تضعيف ارتباط المسلمين بأصولهم الإسلامية، وما على المسلمين إلا تقوية هذا الارتباط بأصولهم الإسلامية ولكن من دون عشوائية بل من خلال تحرّي الصحيح من التراث الإسلامي واتباعه، وكشف السقيم ونبذه.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«لقد دأب الإستعمار على تضعيف ارتباطنا الحياتي بالأصول لذلك نحن نفخر بالعودة إلى أصول الإسلام والقرآن»(٢).

ولا شك بأن ما تبين لحد الآن من دأب الاستكبار العالمي على اتهام المسلمين بالأصولية، هو أن كل مسلم إذا كان أصولياً فإن هذا يعني أنه يحمل صفة منفّرة وباعثة على الاشمئزاز، بيد أننا عرفنا بأن هذه الصفة مشتركة بين الإيجاب والسلب.

وعلى هذا فإن تحقير مصطلح «الأصولية» من قبل أرباب الغزو

---

(١) الغزو الثقافي، ص ١٣٣.

(٢) م. ن.

الثقافي، والقدح والذم لكل من يرتبط بالأصول الإسلامية، إنما يصب في خانة الأهداف التي يحاول هذا «الأخطبوط الإرهابي» تحقيقها، وما هذا العمل الساري والدؤوب من قبله إلا لتحقيق أمرين هما:

الأمر الأول: إبعاد المسلمين عن إسلامهم، تمهيداً لإزالة هويتهم الإسلامية.

الأمر الثاني: تحويل المسلمين إلى مجرد لقطاء يتخطفوا بُيسر وبكل سهولة.

وقد ثبت بالوجدان وبالتجرية أن جمهرة أهل الإسلام لا أمل لهم في هذه الأزمان إلا بانتهاج أحد طريقين:

الأول: التبعية للاستعمار، والذنبية له، والإنصياع لكل ما يطلبه، وهذا من شأن الوقوع في محذورين أحلاهما علقم:

أ ـ الانغماس في مستنقعات المذلة والمهانة، وذلك لأن الاستعمار جاء منتقماً والوقوع بأيدي المنتقم الحاقد لا رحمة فيه.

ب ـ صيرورة المسلمين فاقدين لكل خصائصهم ومميزاتهم الطبيعية، والتاريخية، والدينية.

الثاني: الاستقلال وعدم التبعية، وذلك بالعودة إلى الإسلام الحقيقي، والتوجه نحو التطور، وإزالة كل العوائق المانعة من التطور حتى لو أدى ذلك إلى رفض بعض ما اعتبر من الدين وليس بدين.

وهذه العودة الصالحة والصحيحة لها ثمار طرية منها:

١ ـ الممانعة وعدم التبعية والذنبية.

٢ ـ الحفاظ على نقاء الإسلام.

٣ ـ الاستفاد من الطاقات الهدّارة الموجودة في الإسلام والمسلمين.

٤ ـ تثبيت عامل الوحدة والتراص.

٥ ـ تحصيل القوة في مواجهة كل التحديات.

٦ ـ اعطاء نموذج صحيح وصالح لقيادة البشرية من خلال النظام الإسلامي السامي.

وهاهنا تنبيه مهم مفاده:

أن الإستقلال عن الغرب لا يعني الانفصال الحديدي والجداري، بل يعني عدم التبعية وإلا فما المانع أن نأخذ من الغرب ما ينفعنا نفعاً حقيقياً، فإذا كان الأخذ من الغرب بعنوان «التبادل الثقافي والتجاربي»، لا بعنوان التبعية، والاستعمار، وتذويب الهوية الإسلامية، فلا مانع من أن يكون الشرق تلميذاً للغرب، كما لا مانع من كون الغرب تلميذاً للشرق في قضايا أخرى.

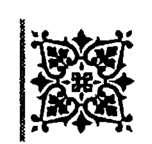
إن علينا والحال هذا أن ننصت لقول الإمام الخامنئي دام ظله وهو يخاطب كل المسلمين:

«ما أقوله للشعوب الإسلامية، وللمسلمين واحداً واحداً أن سبيل علاج جميع الآم الشعوب الإسلامية ومشكلاتها، وعثراتها يكمن بالعودة إلى الإسلام، والحياة في ظل النظام الإسلامي وفي إطار أحكام الإسلام، فهذه العودة هي التي تبعث في المسلمين عزتهم وتعزز

شوكتهم وتجعلهم ينعمون بالنعم العظيمة التي تأتي على أرضية الأمن والرفاه... وهذه العودة هي التي تجعل المسلمين بمنأى من السقوط إلى هوّة المصير البائس الذليل، الذي يدبره رموز الاستكبار للأمة»[١].

***

(١) م. ن. ص ١٢٣.



«العولمة»
أو النظام العالمي الجديد

الغزو الثقافي لكي يُغلق الستار عن عراقة الشعوب وقيمها، ولكي يقطع الصلة بين الشعوب وبين أي سبيل يمكن أن يكون محفزاً للنهوض والثورة بوجه أي طامع ومستعمر، ولكي يمعن في استعباد الشعوب الإسلامية طرح شعار «العولمة» أو النظام العالمي الجديد من ناحية ثقافية وأخرى عملية.

وفيما انشغل أهل «الفكر والثقافة» في بلاد العرب والمسلمين بهذا المصطلح أخذاً ورداً عكساً وطرداً، عكف أرباب الغزو الثقافي على تحقيق أهدافه «اللافكرية» عملياً، وما برح أهل الثقافة في شغل عن المواجهة جرّاء انغماسهم «بملهاة المصطلحات».

لقد بات معلوماً بأن الغزو الثقافي أكثر ما يركز حملته لتكريس وتلميع العولمة على الجامعة وأهلها النخبويين، لكون الجامعات أكثر التصاقاً وانجذاباً بدعوات التجديد، وصيحات العصرنة ـ وهذا لا عيب فيه ـ، بالإضافة إلى أن مصطلح العولمة له ما له من وقع خاص وساحر على الفكر المبحوث في الجامعة، وفي ميادين أهل النخبة على وجه مخصوص، وذلك بلحاظ أن العلوم الجامعية مرتبطة بالعلوم التي تدرس في جامعات الغرب.

ولا شك بأن الغزو الثقافي بربّانه المستكبر أراد من الجامعي أن يتقمص العولمة ليغدو صورة مصغرة عنها، وهكذا تجتمع صورة العولمة بأشخاص أبناء الجامعة، فيزداد هؤلاء، ويتعاظم عددهم ليشكلوا فيما بعد الخطوط الأمامية للأمة، فيتسلمون دفة الحكم، ويسوسون البلاد والعباد بعقلية القناع المزيف لوجه الغزو الثقافي الحقيقي.

وعلى هذا يصبح هؤلاء بقول صريح مجرد خُدّام يخدمون مأمورية «العولمة» في بلادهم، ولكن مخططهم باء بالفشل لأن أبناء الجامعة كانوا خير معين للإسلام والمسلمين، فعطّلوا مشروع العدو.

إنه ومن دون شك قد تأكد لنا بأن الغزو الثقافي بربّانه المستكبر طرح شعار «العولمة» ليقضي على المفاهيم الصحيحة التي عانقتها الشعوب الإسلامية الثائرة طوال العصور الغابرة، والتي يخشى الغزو الثقافي إن تواكب العصور الآتية؛ ومن هذه المفاهيم:

١ ـ **معاداة الاستعمار**: فالغزو الثقافي يريد من الشعوب الإسلامية إبعاد هذا الشعار لأنه مع وجود العولمة فلا يصح استخدامه لأنه بالٍ وقديم، وغير واقعي.

٢ ـ **مواجهة الاستكبار**: فمع وجود نظام العولمة لا مجال لطرح مفهومي الإستضعاف والاستكبار، لأن موضوعهما انتهى وبالحقيقة فإن شعارات معاداة «الاستعمار»، و«الاستكبار» و«الرفض» كلها ما زالت متواجدة، ولكن الغزو الثقافي طرح شعار العولمة لإيهام الشعوب الإسلامية بزوال هذه الشعارات، إمعاناً في تحقيق الاستعمار و«الاستكبار» خلف الأضواء.

إنه ليُلاحظ أن الغزو الثقافي يطلق شعار العولمة وينتقد كل ما هو قديم في سوح المتصدين له، وغير المنصاعين لهجمته الشرسة، أما السوح التي هي حقيقة غارقة في أوحال «التخلف» و«الإنحطاط»، والبعيدة كل البعد عن الحضارة فهي لا تتعرض للنقد والإبرام من قبل الغزو الثقافي تحت شعار «العولمة» و«الحداثة» و«التنوير» لماذا؟؟

لأنها ببساطة منصاعة لرغبات الاستعمار، ومطامع الاستكبار.

والحاصل أن الغزو الثقافي:

أ ـ يركّز حملته على الجامعة وطلابها؛ يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«إنهم يقولون أن جامعي العصر لا يمكنه أن يكون معادياً للاستعمار، فقد انتهت مرحلة معاداة الاستعمار والإستكبار وشعارات الموت للاستكبار، يقولون أن مرحلة الكفاح من أجل العدالة ومناهضة الاستغلال الرأسمالي قد انتهت... يقولون إن مرحلة رفع الشعارات والرفض السياسي قد انتهت»[1].

فلا بد من طوي كل صفحات الرفض، والممانعة، والمقاومة، لتصبح الأمة مجرد أمة خاملة تحمل رايات الإستسلام.

فها هو الغزو الثقافي يريد من الجامعي حمل مفاهيمه الجديدة تحت شعار العولمة بكل وقاحة، يقول الإمام الخامنئي دام ظله في هذا الصدد:

---

(١) الجامعة بين الأصالة والتغرّب، كراس صادر عن الوحدة الإعلامية في حزب الله، ص ٢٧.

«وإن مفاهيم الجامعي هي عبارة عن مفاهيم العولمة، وهي آراء واقعية ترتبط برواية النظام العالمي الجديد، أي أصبحت امتداداً لسياسة أمريكا»[١].

ب ـ يرفع بصراحة شعار العولمة، وهو بالحقيقة يطرح شعار أمركة العالم «والعولمة هذه اسمها عولمة ولكنها في الحقيقة أمركة العالم»[٢].

ج ـ إن دعوته لا تشمل جميع البلدان وجميع الشعوب، فهو يتهم البعض بالتخلف، وبالتقاليد البالية دون بعض آخر، وهذا يؤكد «الاستنسابية» و«الانتقائية».

وهذا دليل كافٍ على وجود هذا الكم الهائل من الحقد الدفين الممتزج مع الخوف على «المصالح» و«الأطماع» من قِبل «الاستكبار»، إذ أن الدعوة إلى «الحداثة» لو كانت صادقة لشملت الجميع!!

ومن هذا المنطلق يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«وباسم التجديد والحداثة تنقد إيران المسلمة بأنها تريد الإرتباط بسنن ماضية بالية، حصل ذلك كله وفي العالم في الشرق منه والغرب، عدد غير قليل من الأنظمة الرجعية المستبدة التي ترتبط بماضٍ متلبد، وتقاليد لا تعرف شيئاً من مفاهيم العالم الجديد من قبيل الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، ولم يتعرض أحد لهم بالذكر ولم ينالهم

(١) م. ن. ص ٢٧ ـ ٢٨.
(٢) م. ن. ص ١٢٨.

الهجوم الدعائي... أجل لا يخشى الاستكبار.. من بلد يغرق في أعماق عبادة ماضيه القديم، ومن أمة تعود القهقرى إلى تقاليدها وعاداتها الجاهلية، شرط أن تفتح له خزانتها المادية، وتستسلم لتسلطهم... ليسوا فقط لا يقلقون من شعب مثل هذا، بل يفرحون أيضاً، إنهم يخشون عودة الشعوب إلى ماضيها الذي يمنحها العزة والفخر، ويفتح لها طريق الجهاد والشهادة، ويعيد لها الكرامة الإنسانية، ويعلمها أن تقطع أيدي الغزاة الناهبين الذين يتعرضون لمال الأمة وشرفها»[١].



(١) من نداء له في حجاج بيت الله الحرام ٢٦/ ٣/ ١٣٧٠ هـ. ش.

الحرية

لقد حاول الغزو الثقافي النفاذ إلى البلدان الإسلامية من خلال طرح قضية حساسة هي «الحرية».

وقد أُثير مفهوم الحرية في جو ضبابي غير هادىء، مما أدى إلى خلق مجموعة مغالطات، واضطرابات حول «الحرية»، وبديهي أن الغزو الثقافي أثار هذه القضية لكي يحقق أمرين مهمين:

الأول: في الخارج:

حيث الأبواق الإعلامية تعبر بما تشاء بدعوى الحرية حتى لو كان هذا العمل مخالفاً للحقيقة، ومتلائماً مع الكذب والزور.

الثاني: في الداخل:

حيث تتاح لعملاء ومأجوري أرباب الغزو الثقافي فرص متعددة لكي يتكلموا بما يحلوا لهم، فيشتموا ويسبوا، ويتعرضوا للإسلام بالذم والقدح كما يشتهون، وكل هذا تحت ستار «الحرية»، أما إذا رُدّ على هؤلاء بنقاش علمي، وكذا باتزان فكري فإن الغزو الثقافي يعتبر ذلك سلباً للحريات، فالهجوم الثقافي الإتهامي اللاواقعي، واللاحقيقي، واللاعلمي، واللا أدبي، وغير المتوافق مع طريقة ومنهجية البحث العلمي هو «حرية»، والدفاع الثقافي لأجل تبرئة النفس، والواقعي،

والحقيقي، والعلمي، والأدبي، والمتوافق مع منهجية البحث العلمي، ليس «حرية» بل هو ممن يسلب الحرية!!!

ثم أن «الحرية» بمفهومها الصحيح هي من صنيع الإسلام، لا من صنيع الغرب، وذلك لأن ثمة فرق كبير بين حرية الغرب، والحرية في الإسلام، وهذا الفارق يظهر ويتوضح أولاً وثانياً.

أولاً: الحرية عند الغرب:

أن الغرب لا يملك تفسيراً حقيقياً للحرية، وهذا يدل على وجود فئتين من الغربيين من جهة دعوى الحرية:

الفئة الأولى: هي الفئة الصادقة في حملها لشعار الحرية، إلا أنها لم تستطع تقديم اطروحة صحيحة وكاملة للحرية، وبالتالي ممارسة الحرية عند هؤلاء وإن كانت جيدة وحسنة في بعض المجالات إلا أنها كانت رديئة وسيئة في المجالات الأخرى.

الفئة الثانية: هي الفئة الكاذبة في حملها لشعار الحرية، لأنها لا تفهم معنى الحرية أولاً، وليست صادقة في تقديم الحرية للشعوب ثانياً، وتعمل على استغلال الشعوب واستعبادهم من خلال شعار الحرية ثالثاً.

ولعل المراد بالغرب يتمثل بالفئة الثانية، لأن الفئة الأولى وإن كانت تطرح الحرية بشكل خاطىء وتمارسها كذلك إلا أن الحوار معها يكون مجدياً، بخلاف الفئة الثانية فهي لا تريد حواراً ولا تبادلاً فكرياً غاية ما تريده هو تأمين مصالحها واستعباد شعوب العالم بكافة أنواع الاستغلال ومنها شعار «الحرية».

وعلى أي فإن الغرب لا يعطي تفسيراً حقيقياً للحرية فهو يمارس الحرية لا على أساس نظرية كاملة وموحدة يسعى إلى تطبيقها، بل يمارس الحرية على أساس «وجود مصالح وعدم وجودها»، وعلى أساس «الخصومة والأصدقاء» بل العملاء.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«فأولئك يعانون من مشكلة في تقديم فلسفة الحرية، وما هي فلسفة الحرية؟ ولماذا يجب أن يكون البشر أحراراً؟ فكل هذه الأسئلة تحتاج إلى استدلال وأسس فلسفية، وقد قيل الكثير في هذا المجال: الفائدة، الخير العام، اللذة العامة، واللذة الفردية، والحد الأقصى لكل حق من الحقوق المدنية، كل هذه الأمور قالة للطعن، وقد طعن فيها أولئك بأنفسهم»[1].

ومضافاً إلى أن الغرب لا يملك تفسيراً جدياً للحرية، ليست الحرية عنده مطلقة كما يتصور، بل إن للحرية في الغرب حدوداً تقف عندها، وهذه الحدود هي «المصالح المادية» فإذا تعرضت المصالح للزوال أو الخطر فإن حركة الحرية تصبح مشلولة وغير مرغوب بها؛ وعندها يُلجأ إلى تقييد الحريات وتقزيمها.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«الفرق الآخر ـ بين الحرية في الإسلام والغرب ـ هو أن حدود

---

(١) نداء الحرية، كراس من إصدار الوحدة الإعلامية في حزب الله، ص ١٧.

الحرية في الغرب هي المصالح المادية. . فإذا تعرضت المصالح المادية للخطر برزت حدود الحرية»[١].

ولقد قدم لنا دام ظله نماذج متنوعة حول تقييد الغرب للحرية وعدم إطلاقها ومنها:

أ ـ المنع من نقل المعلوماتية، والتقنية العالية (High - teck) إلى الآخرين.

ب ـ المنع من نشر أخبار الهجوم الأمريكي على العراق، بما فيها المنع من التقاط الصور.

ج ـ قتل ثمانين شخصاً تقريباً لمجرد مخالفتهم للحكومة الأمريكية[٢].

والخلاصة أنه في الغرب:

١ ـ لا يوجد أطروحة ونظرية كاملة حول الحرية.

٢ ـ الحرية في الغرب تمارس بشكل خاطىء من جهة، واستنسابي من جهة أخرى.

٣ ـ شعار الحرية يبقى سارياً فإذا تعرضت المصالح المادية للخطر شُلت حركته وقيّد.

---

(١) م. ن. ص ٢٢.

(٢) م. ن.

ثانياً: الحرية في الإسلام:

لقد بدت الحرية في الإسلام بأبهى حُلّتها، سيما وأن الإسلام ينفي كل عبودية لغير الله عز وجل، والعبودية لله عز وجل تمثل حرية الحريات، لأن الله عز وجل خلق الحرية، وخلق الناس أحراراً، ولو أراد الله عز وجل عدم الحرية للناس لخلقهم عبيداً له من دون اختيار.

فالعبودية لله عز وجل ليست عبودية بالقوة وبالإجبار بل هي عبودية باختيار الإنسان، فهي عبودية منفتحة مُدارة من قِبل مفاتيح العقل والفطرة والوجدان، وتبدو الحرية في الإسلام كما أظهرها الإمام الخامنئي دام ظله بالآتي:

أ ـ الحرية ظاهرة الهية: فالحرية هي ظاهرة الهية تتمثل «بالفطرة الإلهية»، وهي من صميم التكليف الإلٰهي، وإذا ما حارب الإنسان الحرية فهو بالضرورة يحارب ظاهرة إلهية أي «الفطرة».

وإذا كان أقصى ما يمكن أن تترقى إليه الحرية عند «الغرب» هو أنها ليست أكثر من كونها حقاً من حقوق الإنسان، في حين أنها في الإسلام هي أعمق من ذلك بكثير لأنها:

١ ـ قيمة إنسانية: والقيمة الإنسانية غير قابلة للاسقاط أو الاستلاب، بخلاف الحق الإنساني القابل لذلك.

١ ـ ظاهرة الهية: أي خلقة إلهية لا تبديل فيها ولا تعديل.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«الحد الأقصى الذي بلغته تلك البحوث هي أن منشأ وفلسفة

الحرية أنها حق إنساني، في حين أن الإسلام قال أكثر من ذلك فإنه... يعتبر الحرية «أمراً فطرياً»[١].

ولذا فإنه و«استناداً إلى منطق الإسلام فإن التحرك ضد الحرية يعد تحركاً ضد ظاهرة إلهية»[٢].

ب ـ لها حدود مادية ومعنوية: ولكن هذه الحرية ليست تقييداً لحركة الإنسان، ولا لحبس الحرية عنه، بل جاءت لصالح الإنسان كيلا يقع في المفاسد والأخطاء، وإلا فإن الإنسان ـ وتبعاً لمنطق الإسلام ـ يستطيع اختراق هذه الحدود باختياره غاية الأمر أنه سيكتشف مفاسد اختراق هذه الحدود، وبالتعبير الإسلامي هذه الحدود هي حدود تشريعية وليست حدود تكوينية.

وأما الحدود المادية فهي من قبيل (عدم القتل ـ عدم السرقة وغيرها)، وأما الحدود المعنوية فهي من قبيل (عدم الكذب ـ عدم الخيانة وغيرها).

وعلى هذا فالحدود التي للحرية هي «الحدود الصحيحة» التي تصب في خدمة الإنسان، ولهذا فإذا تجاوز الإنسان حدود الحرية فإنه سوف يكون في ميدان آخر غير ميدان الحرية وهو «ميدان الفساد».

وعليه فإنه من الصحيح القول بأن الحرية ليس لها حدودا غاية الأمر هو:

---

(١) م. ن. ص ١٨.

(٢) م. ن. ص ١٩.

أن أي فعل يخالف الحرية لا يكون حرية بقدر ما يكون فساداً، والإمام الخامنئي دام ظله عندما قرر أن للحرية في الإسلام حدوداً مادية ومعنوية هو يريد بذلك عدم الانتقال من عنوان الحرية إلى عنوان آخر هو «الفساد».

يقول دام ظله:

«يجب أن تُراعى الحدود الصحيحة... فالحدود هي الحدود الإسلامية... وفي داخل تلك الحدود نجد الأساس الجميل والمشع للحرية، الذي لا بد من الاستفادة منه[(١)].

«فالحرية في الإسلام لها حدود معنوية مضافاً إلى الحدود المادية نعم... أن تحد حرية الشخص إذا قام بعمل مخالف لمصالح البلد، فإن هذا منطقي، لكن هناك حدود معنوية أيضاً... لكن إذا كان المسموح به هو أن يهاجم صاحب العقيدة الفاسدة أذهان وقلوب افراد لا يمتلكون قدرة الدفاع عن أنفسهم، ويسعى إلى اضلالهم، فهذا يعني حداً للإنسان، هنا تصبح الحرية محدودة، هذا هو رأي الإسلام، أو إذا أراد أن يشيع الفساد، وأن ينشر الفساد السياسي أو الفساد الجنسي، أو الفساد الفكري... لا حرية للكذب، لا حرية لبث الشائعات، لا حرية للارجاف»[(٢)]

وهاهنا استفادة مهمة مفادها:

---

(١) م. ن. ص ٣١.

(٢) م. ن. ص ٢٤ ـ ٢٥.

أن الحرية عند أي شخص هي تساوي القبول والرفض، فيعرض الأمر على صاحب العلاقة ومن ثم يختار بحرية، ويمارس بحرية، وهنا عند الغرب فإنهم يبثون دعاياتهم في أوساط غير الواعين، ومن دون قدرة لدى هؤلاء على تشخيص ما يُقبل وما يُرفض لديهم، فإنهم يُرغمون بسبب ضغط الدعاية والإعلام على قبول الأمور كما تُطرح في حين أن الخيار الآخر ليس في وارد التفكير والممارسة عندهم، وهذا العمل بالحقيقة لا يسمى حرية بل يسمى إرهاباً فكرياً كما لا يخفى.

ج ـ الإسلام لا يستغل الحرية لأغراض دنيئة: فبما أن الحرية هي قيمة إنسانية، وظاهرة إلهية، فهي لا تستغل لأغراض دنيئة، فلا يقول الإسلام لمعتنقيه:

اذهبوا إلى كل العالم وسيطروا على جميع مقدراته ظلماً وعدواناً باسم الحرية؟!! استعبدوا الأمم باسم الحرية؟!! كما تفعل أمريكا الآن!!!

فالحرية في الإسلام هي نعمة الهية شأنها شأن سائر النعم، تماماً كنعمة البصر فلا يستخدم للنظر الحرام، وكقيمة السمع فلا يستخدم لسماع الحرام، بيد أن نعمة الحرية هي من أعظم النعم، لأنها خلقت مع الإنسان، وتبقى معه ولا تسلب منه، إذ متى أُخذت منه وسُلبت حتى تُعطى له فيما بعد بعنوان أنها من حقوق الإنسان؟!!

فالإسلام إذن لا يدعو إلى استغلال الحرية لأغراض دنيئة، أما الغزو الثقافي فهو يعاكس الإسلام في هذا الطرح، فهو يستغل الحرية للنيل من كل من:

أ ـ القيادة الإسلامية بمختلف مراتبها.

ب ـ النظام الإسلامي.

ج ـ القيم الإسلامية.

ولهذا أمر الإمام الخامنئي دام ظله بعدم السماح لأحد باستغلال الحرية تبعاً للاستعمار من خلال قوله: «**وصيتي الثانية هي أن لا تستغل الحرية**»(١).

وعلى هذا فلا بأس من الاستفادة من الحرية لخدمة الصالح العا والخاص للإنسان، ولتكريس وتثبيت ما هو صحيح وحسن.

قال الإمام الخامنئي دام ظله:

«**فليستفيدوا من الحرية أكبر استفادة فهذا أفضل، لكن عليهم أن لا يتجاوزوا الحدود**»(٢).

إن الإمام الخامنئي دام ظله أكد بأن الحرية هي مقولة إسلامية أصيلة، ولكن هذه الحرية حتى تكون صحيحة، وتبحث في إطارها الصحيح، وبشكلها ومضمونها الدقيق علينا أن نلحظ أمرين اثنين هما في بالغ الأهمية والدقة:

١ ـ الإستقلال:

بمعنى أن نفكر بالحرية ونبحث عنها بوصفها مقولة إسلامية،

(١) م. ن. ص ٢٨.

(٢) م. ن. ص ٣٠.

وعندما نعيش فكرنا وممارساتنا باستقلالية، ساعتئذٍ نبحث في الحرية ونغوص في أعماقها.

٢ ـ عدم التبعية:

بمعنى أنه ليس إذا أمرنا الغرب بالتفكر في الحرية فنشمر عن سواعدنا للبحث عن الحرية، وعندما يأمرنا بالسكون وطي هذا الملف نسكت ونطويه.

وبناءً عليه: فإذا أردنا أن نبحث في الحرية ـ بل يجب ذلك ـ نبحث فيها بعزمنا نحن، وإرادتنا نحن، .وحاجتنا نحن، وليس من باب التبعية العمياء للغرب.

وعلى هذا فإذا حضر الأمن من التبعية، وحضرت مقولة الاستقلال، فالحرية يجب معايشتها وممارستها لأنها نشأت في ظل الإسلام، والإسلام يملك اطروحة كاملة حول الحرية جملة وتفصيلاً، والمسلم أحق من غيره بطرح موضوع الحرية.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«إن وصيتي الأولى للكتّاب والباحثين هي أن نكون مستقلين في فهم مفهوم الحرية، أن نفكر باستقلال وأن لا نكون تابعين»[(١)].

وقال دام ظله:

«إحدى المسألتين اللتين أريد عرضهما تتعلق بمفهوم الحرية،

---

(١) م. ن. ص ٢٨.

علينا أن نستخدم شعارنا الآخر وهو: الاستقلال، لا أن نفكر بتقليد وتبعية»[١].

* * *

(١) م. ن. ص ١٣.

الإرهاب

أصحاب الغزو الثقافي بالغوا في استخدام مصطلح «الإرهاب» مؤخراً، حتى أنهم سمحوا لأنفسهم وبالمنطلق من هذا المصطلح أن يصنفوا جميع الشعوب.

ووصل الأمر إلى حد إيصال الكون برمته إلى أحد خيارين ـ على نحو مانعة الخلو ـ لا ثالث لهما وهما:

١ ـ مع أمريكا وحلفاءها.

٢ ـ ضد أمريكا وحلفاءها.

ولكن أصحاب الغزو الثقافي وعلى رأسهم أمريكا لم يحددوا:

أ ـ معنى الإرهاب: أي ما هو الإرهاب؟؟ وما هي معاييره؟؟

ب ـ كيفية التعاطي من الإرهابيين؟؟ وما هي الأساليب لمنع الإرهاب؟؟

ج ـ ما هي دواعي ومناشيء الإرهاب؟؟

د ـ ما هو القانون العام للإرهاب؟؟ وما هي العقوبات التي على أساسها يُعاقب الإرهابي؟؟ هل أن كل إرهابي يعاقب بنفس العقوبة؟؟

أم أن هناك عقوبات خفيفة وأخرى ثقيلة بحسب الفعل الإرهابي؟؟

كل هذه الأسئلة لا أجوبة عليها، بل هي متروكة في أذهان الاستكبار العالمي ودوائره الخفية، المهم أنهم حينما يقرروا الاستيلاء على بلد ما أو الهيمنة عليه من بُعد، فإن هذا يكون مقرراً سلفاً بدعوى الإرهاب، فالإرهاب ليس ذاك العمل الإجرامي كما يتصور، بل الإرهاب كل الإرهاب هو: **مخالفة رغبة أمريكا وإسرائيل!!!**

إن الإمام الخامنئي دام ظله يؤكد على نه لا يحق لامريكا قيادة حملة مكافحة الإرهاب، لأن الخسائر المادية والبشرية التي مُنيت بها الشعوب تبلغ أضعافاً مضاعفة مما خسرته أمريكا، والتي كانت خسائرها تمثل طريقاً أساسياً لنيل المكاسب من قبلها، بل لقد بات من المعلوم أن أمريكا هي التي اصطنعت تلك الخسائر بحق شعبها.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله بهذا الصدد:

«من قال أن من حقكم أن تتولوا قيادة عملية المواجهة مع الإرهاب؟! إذا كان المعيار هو قتلاكم الذين قضوا بواسطة الإرهاب، تعالوا وانظروا كم هو عدد الذين وقعوا ضحية الإرهاب لدى الشعوب الأخرى، اليوم في فلسطين يرهب ويقتل ويباد الشعب الفلسطيني يومياً في بيته ومن قبل غاصبي أرضه بصورة صريحة وعلنية، ألم يكن هجومكم على فيتنام حركة إرهابية؟! ألم يكن هجومكم على هيروشيما وناكازاكي حركة إرهابية؟! ألم يحترق أناس بنار قهركم بصورة عملية ومدروسة، وأنتم لا تفرقونهم أصلاً؟! بأي حق يجب أن تتولوا أنتم

قيادة مكافحة الإرهاب؟! وبأي حق يجب أن تتولوا أنتم تحديد معنى الإرهاب»[١].

لا شك أن أحق الناس بتحديد معنى الإرهاب وبالعمل على مكافحته، هم أولئك الذين اكتووا بنار الإرهاب من دون جُرم يذكر، أو ذنب يُعرف.

وإن أمريكا لا يحق لها قيادة الحملة على الإرهاب لعدة أسباب منها:

١ ـ أنها دائماً تقف موقف المعتدي على الآخرين.

٢ ـ أنها دائماً حليفة للمعتدين والإرهابيين الحقيقيين في العالم.

٣ ـ أنها أقل خسارة من الآخرين، علماً أن خسارتها كانت إما في طريق عدوانها على الآخرين، وإما سبباً لعدوانها على الآخرين.

لا ريب أن ما حصل في الحادي عشر من أيلول كان من مضاعفات الإرهاب الأمريكي، وعلى هذا فإن أمريكا هي أساس الإرهاب، وسببه ونتيجيته، ونحن لا ننكر وجود إرهاب غير أمريكي ولكنه مسبب عنها أو عضد لها.

ولقد برّز الإمام الخامنئي دام ظله نماذجاً من الإرهاب الأمريكي ليبرهن على كون أمريكا هي أصل الإرهاب، ومن هذه النماذج:

١ ـ سفك دماء السكان الأصليين في أمريكا.

(١) أمريكا أصل الإرهاب، كراس صادر عن الوحدة الإعلامية في حزب الله، ص ٢٢.

٢ ـ استعباد فتيان وفتيات إفريقيا بما يفوق الملايين.

٣ ـ إبادة مدينة هيروشيما وكذا ناكازاكي إبادة تامة.

٤ ـ الاعتداء على شعب العراق وأفغانستان.

٥ ـ الاعتداء على الشعب الفلسطيني بواسطة إسرائيل.

ولقد أعاد الإمام الخامنئي دام ظله إلى الأذهان عبارة «الاستكبار» وأكد أن استخدام هذا الشعار من قبل الجمهورية الإسلامية، إنما جاء ليشير إلى رمز الاستكبار في العالم أي «أمريكا» حيث قال دام ظله:

«هنا عندما يُبث هذا الكلام في العالم وتسمعه شعوب العالم، عندها يدركون لماذا وضعت الثورة الإسلامية كلمتي الاستكبار والمستكبر منذ البداية ضمن الكلمات الإسلامية وركزت عليها في الإعلام، تعرف شعوب العالم ما هو معنى الاستكبار في قاموس الثورة الإسلامية»(١).

وعلى هذا فقد ألفت الإمام الخامنئي دام ظله انتباه شعوب العالم إلى مسألة هامة هي:

أن أمريكا تحمل روحاً استكبارية استعلائية همجية، وذلك لأن خطاب الرئيس الأمريكي يؤكد ذلك.

قال دام ظله:

---

(١) م. ن.

«ذلك السيد قال في خطابه: كل من ليس معنا فهو ضدنا، لقد كرّر هذه الجملة عدة مرات. هذا أسوأ مظاهر الروح الاستكبارية، لدى سلطة ما وحكومة ما»(١)

وملخص القول: إن دعوى الإرهاب هي من الدعاوي التي أثارها الغزو الثقافي لتحقيق أغراضه، وأهدافه الشنيعة، لكن هذه الدعوى تمتاز عن مثيلاتها لكونها تحمل صراحة ووقاحة في آن واحد، إذ إنها غزوة ثقافية وعسكرية في آن، وهي غزوة مباشرة وليست خافية، الأمر الذي يوحي بأن الغرب المستكبر قد اقتنع تماماً بأن الجنى قد حان جناه، ولكنها على نفسها قد جنت براقش!!!

ولهذا على المتضررين والمغزوين أن تكون عندهم رباطة جأش وعدم الخوف من الحرب نفسها، فكيف من قرع طبول الحرب؟!!

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«لدينا نهى لازم ومطلوب، وهو أن لا نصاب بالخوف والرعب، إن أكبر خطأ أو خسارة أو خطر يمكن أن يواجه بلداً في مثل هذه الظروف هو أن يشعر العدو أنه تمكن من إرعابه، الإرهاب في الأساس هو إحدى الوسائل والأساليب التي تعتمده القوى العظمى، أحياناً قد يكون لهيبة ورهبة القوى الكبرى تأثير على الضعفاء يفوق تأثير السلاح»(٢).

---

(١) م. ن. ص ٢١، والمراد به جورج بوش الابن.

(٢) م. ن. ص ٢٧.

وختام الكلام في هذا المقام أن الغزو الثقافي يثير قضايا حيوية من قبيل «فصل الدين عن السياسة» و«الأصولية» والعولمة، و«الحرية»، و«الإرهاب» من أجل سيطرته على كل شيء، ولا شك بأن كل هذه القضايا التي يثيرها هي أسربة زائفة يروم الغزو الثقافي استحالتها إلى حقائق واقعية في نظر الشعوب المغزوة، ليخلق فضاءً تحتشد غيوم الاستغلال فيه، فتمطر سهاماً حاقدة لتستقر في أرض الإسلام والمسلمين السخية، فتعبث بها لتصبح منسجمة مع قياس الأقدام الغريبة الغازية مطواعة لها.





التبادل الثقافي والتبعية

التبادل الثقافي عنوان التقدم الفكري لتعدد الألوان الفكرية والثقافية، بخلاف التبعية التي هي عنوان التخلف والجمود لأنها ذات لون فكري واحد يفرض نفسه على الآخر حتى لو كان خاطئاً.

ولهذا فإن التبعية مرض بغيض تجعل من المتبوع صائداً ومن التابع طريدة متصيدة، ينتظر اللحظات الحاسمة للذبح والإزدراد.

ولقد أجاد الإمام الخامنئي دام ظله في الحديث عن التبادل الثقافي والتبعية، وفي التفريق بينهما، والحديث عنهما من خلال عدة جوانب نذكر منها التالي عبر نقاطٍ عدة:

١ ـ ضرورة التعلم والاستفادة من الآخرين: يرى دام ظله أنه لا بد من التعلم والتعليم، ومن الاستفادة من تجارب الآخرين، فإن هذا يؤدي إلى التكامل والرقي، وهذا رأي الإسلام بالحقيقة فـ«التعليم والتعلم أمران ضروريان. . . هكذا علم النبي ﷺ المسلمين. . . ونحن اليوم على هذه العقيدة. . علينا أن نستفيد من جميع العلوم، ولكن بشرط أن يكون مبتغانا تعلم العلم ونيله»[1]، ونحن الآن نعلنها بصراحة. . . . إن العالم شهد تقدماً في العلوم، وأبقانا متخلفين قرنين

(١) الغزو الثقافي، ص ٥٩.

أو ثلاثة قرون عن ركبه... علينا أن نبلغ بالركب ونبلغ التقدم... علينا أن نستفيد من علومهم ونكتسبها[١].

٢ ـ التبادل الثقافي الإيجابي:

رغب الإمام الخامنئي دام ظله بالتبادل الثقافي الإيجابي، الذي هو بمعنى الإثراء المعرفي، وهذا التبادل الثقافي بمعناه الإيجابي يتم عبر طرق:

الطريق الأول: تذويب ما يكسبه من خلال عملية التبادل في ثقافته الخاصة، وعلى هذا يستطيع أن يستثمر ما تعلمه واستفاده من الخارج ويذيبه في إطار مبادئه ومنطلقاته، يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«فالإنسان يتعلم مما لدى الآخرين من محاسن وأشياء جديدة، ولكن من الأفضل أن يذوب ما يكسبه داخل إطاره الثقافي، ثم يستفيد منه»[٢].

الطريق الثاني: تقبل ثقافة الآخرين من دون فراغ، فإذا تقبلنا ثقافات الآخرين بعقول فارغة، فإن هذه الثقافات سوف تملأ عقولنا وتغذيها من دون رادع أو مانع.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«فنحن اليوم مع الأسف، نستهلك الثقافة الأجنبية، وهي تجد

---

(١) م. ن.

(٢) في حديث له لأعضاء اللجنة المركزية لجمعية النساء، ١٥/ ٢/ ١٣٧١هـ.

طريقها سالكاً إلى أجسامنا، من دون أن يصدر عنّا رد فعل»[١]، إذ أنه **«لا يصح أن نتعامل مع ثقافة الآخر، بتعامل الإنسان الفارغ، الخالي من أي شيء... الفاقد لكل خلفية»**[٢].

الطريق الثالث: التبادل يحصل من كلا الطرفين، بمعنى أن حقيقة التبادل الثقافي قائمة على ركنين وهما، أن أعطيك ثقافتي وتجربتي، وتعطيني ثقافتك وتجربتك، لا أن ثقافة واحدة تهيمن على الأخرى هيمنة التبعية.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«فبدلاً من أن نعرض ثقافتنا العظيمة أمام العالم ليتعلم الآخرون منها، ونستفيد نحن في المقابل من علوم الآخرين، رأينا أنفسنا نعرض صناعاتنا اليدوية مثلاً في معارض الآخرين، ونعطيهم نفطنا لكي يدير عجلة مصانعهم، وبالمقابل، نبقى جلوساً هكذا بانتظار أن يهبونا ثقافتهم الفاسدة»[٣].

٣ ـ التفريق بين قبول ثقافة الآخرين، وبين المفاسد:

فلا يمكن قبول كل ما يأتي من الخارج بطريقة ساذجة وسهلة تحت شعار «التبادل والتفاعل الثقافي» و«الالتحاق بركب الحضارات» وذلك لأن في ثقافة الآخرين عدة أمور، ومنها:

---

(١) م. ن.

(٢) م. ن.

(٣) الغزو الثقافي، ص ٥٨.

الأول: ثقافة نافعة طُبقت بتجارب ناجحة، فيؤخذ منها، وليس بالضرورة أن تستقل الأذهان بما أخذ من دون ضميمة القيم والمبادىء الموجودة ضمن ثقافة المسلمين الخاصة بهم، وبتعبير آخر السعي لأسلمة ثقافات الآخرين.

الثاني: ثقافة ضارة، ومفاسد أخلاقية من نتاجها نظرياً وعملياً، وهذه لا بد من تجنبها، وعدم إدخالها إلى عقول وأذهان المسلمين في الداخل، لأن من شأنها القضاء على كل القيم والمبادىء الصحيحة المتوفرة.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«لقد تحدثت مرة عن الثقافة، وقلت لا ضير من تلقي ثقافة الآخرين، ولكن على نحو يتم فيه التمييز بين كيفيتين. ولتقريب المسألة نضرب لها مثالاً من عمل جسم الإنسان، فجسم الإنسان يتعاطى مع العناصر الغريبة عنه بكيفيتين... في الكيفية الأدنى يتناول الإنسان طعاماً يحوي فيتامينات مختلفة، فيخلط الطعام باللعاب ويدفعه إلى داخل المعدة، وحينئذٍ تمتص المعدة ما تراه مفيداً مناسباً للجسم وتترك الباقي، فتدفعه وتلفظه»[1].

ومما تقدم نعلم بأن التعاطي مع التبادل الثقافي، والتفاعل التجاربي له شكلان:

الشكل الأول: الأخذ بما يفيد الأمة والشعوب الإسلامية.

---

(١) في حديث له لأعضاء اللجنة المركزية لجمعية النساء، ١٥/ ٢/ ١٣٧١هـ.

الشكل الثاني: رفض كل ما يضر بالأمة الإسلامية وبمصالحها.

يقول الإمام الخامنئي دم ظله:

«علينا أن نستفيد من جميع العلوم، ولكن شرط أن يكون مبتغانا تعلم العلم ونيله، وليس كسب مفاسد الأخلاق... التلوث الأخلاقي... الإدمان... الأمراض الخطيرة المميتة، كالطاعون الأميركي المسمى بالإيدز، وبقية ضروب المفاسد الأخلاقية[١].

إن الغزو الثقافي لم يأتِ يوماً إلى بلاد المسلمين من أجل أن يحيي عملية التبادل الثقافي، بل أتى لأجل زرع ثقافته المدمرة القائمة على الفساد، والجنس وغيرهما في عقول الأجيال المسلمة الواعدة والصاعدة، وكل هذا ضمن عملية اخضاع الشعوب وتبعيتها لجرّاراتهم المؤذية والشيطانية.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«ما يريدونه لما يطلق عليه بالعالم الثالث، وما يخططون له، هو التبعية الثقافية والسياسية، لقد رتبوا الأمور على نحو لا يتم فيه تبادل العلم والتقنية، ويمكن أن ندرج فرار العقول وهجرة الأدمغة، التي يعاني فيها العالم المتخلف منذ عشرات السنين، في هذا المضمار»[٢].

٤ ـ وعي الهدف من وراء التبادل الثقافي:

فإن الهدف الموضوع من جرّاء التبادل الثقافي ـ بل الأهداف ـ

---

(١) الغزو الثقافي، ص ٥٩.

(٢) في حديث له إلى مجلس الثورة الثقافية، ٢٠/ ٩/ ١٣٧٠هـ.

معروفة ومنها إثراء الثقافة، وحيوية الفكر، والتجدد لتحقق تكامل الشعوب؛ لكن ما نراه بالوجدان هو غير هذه الأمور، فإننا نرى التبعية، والسلب للاختيار، والاندفاع غير الإرادي، والفساد، ولأجل ذلك اعتبر الإمام الخامنئي دام ظله هذه العملية عملية غزو ثقافي وليست عملية تبادل ثقافي.

يقول دام ظله:

«الهدف من التبادل الثقافي هو إثراء الثقافة الوطنية وسوقها صوب التكامل، أما الغزو الثقافي فهو يهدف إلى استئصال الثقافة الوطنية واجتثاثها»[١].

وقال دام ظله:

«أما في الغزو الثقافي، فإن الأمة المستهدفة بالغزو تتغذى بأمور سلبية وثقافية ضارة، على سبيل المثال، عندما بدأ الغزو الثقافي الأوروبي لبلدنا، لم يصطحب الأوروبيون معهم قيماً من قبيل روحية احترام قيمة الوقت... وروحية التدقيق والمثابرة في البحث العلمي... كل الذي جلبوه إلى هذه البلاد هو التحلل والإباحية الجنسية»[٢]. وعلى هذا فإن التبادل الثقافي حل محله الغزو الثقافي.

٥ ـ شروط التبادل الثقافي:

لقد وضع الإمام الخامنئي دام ظله شروطاً لتقبل عملية التبادل الثقافي منها:

---

(١) الغزو الثقافي، ص ٦١.

(٢) م. ن. ص ٦٣.

أ ـ أن المبادرة من عند المسلمين:

فإذا كانت مبادرة التبادل الثقافي منطلقة من قبل المسلمين فهي بحق تعد تبادلاً ثقافياً، أما إذا كانت المبادرة من عند أعداء المسلمين، فإن هذا لا يسمى (تبادلاً) بل (غزواً) لأنه ماذا ينتظر من العدو غير الإفساد والتخريب؟!!.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«وعليه، يكون التبادل الثقافي هو مبادرة تنطلق من عندنا، أما الغزو فهو مبادرة يمسك بها العدو، ومعركة يشنها العدو ضدنا»[١].

ب ـ قوة الأمة واقتدارها: فإن التبادل الثقافي يتم فيما لو كانت الأمة قوية ومقتدرة، فتطرح ثقافة بديلة لثقافة الغير فيما لو كانت الأخيرة ليست مقنعة، ولا مانع من تقبل ثقافة الآخرين فيما لو كانت ثقافة الأمة غير مقنعة، أما إذا كانت الأمة ضعيفة فإنها لن تأخذ إلا دور الخاضع الخانع، وعلى فرض ضعف الأمة فإن الحالة التي هي عليه هي حالة غزو وليس تبادلاً ثقافياً.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«ومن جهة أخرى، ينطلق مسار التبادل الثقافي في زمن قوة الأمة واقتدارها وامتلائها، أما الغزو فيحصل في زمن ضعف الأمة»[٢].

ج ـ الاختيار: فإن التبادل الثقافي يكون في حالة الاختيار،

---

(١) م. ن.

(٢) م. ن.

فالأمة تختار فكر الآخر أو لا تختاره، فهي مخيرة في قبول الثقافات وعدمها، أما إذا كانت الأمة مقهورة ومغلوب على أمرها، وليس بوسعها الإختيار فهذا لا يكون تبادلاً ثقافياً، بل غزواً ثقافياً.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«الاستفادة من ثقافة الآخرين هو أمر يبعث على التكامل، ولكن ثمة فرق بين حالة يمتلك فيها الإنسان حرية انتخاب الطعام أو الدواء الذي يلائم جسمه وصحته... وبين أن يجبر على طعام أو دواء يكون فيه ضرر»[١].

وقال دام ظله:

«وثمة أمر إلى جوار هذه الحالة، حالة ثانية يسقط فيها الإنسان مغشياً عليه، فيأتي أحدهم ويزرق جسمه بدواء ما... لا يعرف طبيعة هذا الدواء... وفيما إذا كان نافعاً ومفيداً... أو مخدراً ضاراً أو سماً زعاقاً، مثل هذه الحالة يسقط الاختيار ولا يكون ثمة معنى للإنتخاب»[٢].

د ـ عدم الإنبهار بالثقافة الغربية: فإن من بعض خصوصيات المجتمعات المحلية ـ بعضهم ـ أمران:

الأول: الشعور بالتخلف، والتعاسة، والاستلاب.

الثاني: الإنبهار بكل ما هو جديد، والتأثر والالتحاق به، وفتح

---

(١) م. ن.

(٢) م. ن.

الأبواب أمامه. وطبعاً هذا سبب عمق تعمّلات الغزو الثقافي، وعلى أي فإننا لا نستطيع تسمية هذه الحالة تبادلاً ثقافياً، بل الأصح تسميتها بالحالة الانهزامية.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«حين نعود إلى أولئك الذين فتحوا أبواب البلد طوال سنوات متمادية إمام الثقافة الغربية، لا يصح أن نقول أنهم لم يكونوا يعرفوا طبيعة الثقافة الوافدة، ولم يدركوا الموقف؛ وأنهم أخذوا بالأمر الواقع واضطروا لقبول هذه الثقافة المستوردة التي دخلت إلى إيران أبداً!! بل اقبلوا عليها لسبب كونها ثقافة أجنبية، وهم من عبّاد الأجنبي ومحبيه... يعيشون إحساساً بالإستلاب والتعاسة في ذواتهم»[1]. ولا ريب بأن المقصود بهؤلاء هم العملاء كما لا يخفى.



(١) في حديث له للقاء علماء تبريز في ٥/ ٥/ ١٣٧٢.

مواجهة الغزو الثقافي

إن كل ما برز من خطر من قبل الغزو الثقافي، والذي بدى لنا في طيات السطور السابقة، يدعونا لمواجهة هذا الخطر، وقد دعانا الإمام الخامنئي دام ظله إلى مواجهة هذا الخطر، وبيّن لنا سبيل المواجهة.

أما بخصوص ضرورة المواجهة فقد عبر عن ذلك بقوله دام ظله:

«لذلك علينا أن نبادر لإيجاد الجبهة الثقافية، وأن نضع المتاريس الثقافية... فاليوم عمل ومثابرة... وعلى كل مستطيع ذي استعداد أن يبادر للعمل في المجال الثقافي.. من الضروري أن نتحرك، وأن نبادر في هذا المجال، وأنا أوجه خطابي إلى جميع أهل الفكر والثقافة، والأدب والفن، والعلم والمعرفة»[1].

أما السبل والطرق الآيلة إلى المواجهة فمنها:

١ ـ الثقافة:

فإن الغزو الثقافي يُصد بنفس الطريقة أي الثقافة، وبنفس الأساليب التي يناور بها الغزو الثقافي، ونفس المعايير، والشدة والزخم والحزم، أو بما يضاهي هذه بشرط فعاليتها، غاية الأمر أن ما

---

(١) الغزو الثقافي، ص ٥٦.

يهاجم به الغزو الثقافي ولأجله هو باطل، وما يُدافع به عن الإسلام هو حق، فالفرق يبدو إذن من خلال ملحوظتين:

الملحوظة الأولى: أن ثقافة الغزو الثقافي هدفها باطل، بينما هدف ثقافة الإسلام حق.

الملحوظة الثانية: أن الغزو الثقافي يتسم بالمهاجم، وثقافة الإسلام تتسم بالدفاع.

على أن من واجب أمتنا أن تبادر أولاً لإضاءة ساحات جميع العوالم والعواصم، بشعاع نور الحقيقة المنبعث من الإسلام، ولقد ثبّت الإمام الخامنئي دام ظله مقولة صد ثقافة العدو بثقافة إسلامية مضادة، وبأدوات ووسائل مشابهة حيث قال دام ظله:

«الحرب الثقافية تواجه بمثلها فالفعل الثقافي... والهجوم الثقافي لا يمكن أن يواجه بالبندقية... بل القلم هو الذي يحل هنا محل البندقية»[١].

«طبيعي أن مواجهة هذا الهجوم الثقافي الخطير جداً، والمدبر، يحتاج إلى ذكاء... وإلى توظيف أدوات ووسائل مشابهة لما يستخدمه العدو، أو ما يكون بديلاً فاعلاً لها»[٢].

نعم فالإمام الخامنئي دام ظله يريد مجابهة ثقافية متكافئة، وعندما راقب دام ظله طرق المواجهة من قبل الواعين للساحة، لاحظ أنها ما

(١) م. ن. ص ٥٥.

(٢) م. ن. ص ٥٠.

زالت خجولة، ولم تصل إلى درجة مطلوبة للردع.

يقول دام ظله:

«ورغم إنجاز الكثير من الخطوات في هذا المضمار، إلا أننا لم نصل في الدفاع إلى مستوى تشكيل حركة منظمة وتيار فاعل»[١].

٢ ـ الاعتماد على الذات:

وهذا الطريق هو من الطرق المهمة الآيلة إلى مواجهة الغزو الثقافي وصده، فإن تأثير الغزو الثقافي وتراجع المسلمين عن مواجهته مرده إلى كون المسلمين قد انصاعوا إلى طرحين اثنين هما:

الطرح الأول: عدم الاعتماد على الذات، وعدم المراهنة على القدرات الذاتية، والموضوعية الكافية في الإسلام ولدى المسلمين.

الطرح الثاني: الرهبة من الرأي المخالف، والخشية من الأفكار الأخرى، بتوهم أن هذه الأفكار والأراء هي بمثابة الكاسحة التي لا يصمد أمامها فكر ورأي آخر.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«لا نملك إلا أن نعتمد على أنفسنا... ونتكىء على ذخائرنا العلمية والقدرات المادية، وثروات أرضنا»[٢].

وقال دام ظله:

---

(١) م. ن.
(٢) م. ن.

«أريد أن أوصي الكتّاب وأهل الرأي وحملة الأقلام... وأصحاب المنابر الإعلامية، أن لا يخشو الرأي المخالف.. ترى لماذا يجب أن نهاب الرأي الآخر؟ إننا أصحاب منطق وحجة واستدلال... وكلامنا لا يقتصر قبوله على شعبنا وحده، بل نحن نوجهه إلى مئات الملايين من المسلمين وغير المسلمين... وحين يكون الكلام منطقياً مدعماً بالحجة والدليل، فلماذا إذن نهاب الرأي الآخر؟ ونخشى إنساناً يبدي رأياً معارضاً»[1].

٣ ـ الإسلام:

فعبر طريق الإسلام تكون عملية المواجهة صلبة وقوية، ضرورة أن الإسلام فيه بعدان هامان هما:

البعد الأول: أنه يؤمنّ السعادة، ويضمن الاستقلالية، وينشر الإنفتاح العلمي، ويعطي النتاج الثقافي المهول.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«ما أقوله للشعوب الإسلامية، وللمسلمين واحداً واحداً: أن سبيل علاج جميع الآم الشعوب الإسلامية ومشكلاتها وعثراتها يكمن بالعودة إلى الإسلام، والحياة في ظل النظام الإسلامي وفي إطار أحكام الإسلام، فهذه العودة هي التي تبعث في المسلمين عزتهم، وتعزز شوكتهم، وتجعلهم يرفلون بالنعم العظيمة التي تأتي على أرضية الأمن والرفاه... وهذه العودة هي التي تجعل المسلمين بمنأى من السقوط

---

(١) م. ن. ص ٦٢.

إلى هوة المصير البائس الذليل الذي يدبره رموز الإستكبار للأمة[١].

وبديهي أن الإسلام المقصود هنا هو الإسلام الأصيل، الإسلام الذي سطع نوره من أهل بيت النبوة ﷺ.

البعد الثاني: أن الإسلام يعيق حركة الاستعمار، ويعرقل كيد السلطنات، ويعطل شوكة الهيمنات.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«كل مكان يتواجد فيه الإسلام، لا بقاء لأركان النظام السلطوي العالمي، وفي كل مكان يستقر فيه الإسلام سيكون ذلك علامة على مواجهة الظلم والعدوان... والاستعمار والاستغلال... وإذلال الناس... وعلامة على مواجهة المرتكزات التي يقوم عليها نظام التسلط في العالم المعاصر»[٢].

٤ ـ طرق أخرى:

وهي بالحقيقة داعمة وناشرة للإسلام من جهة، وصادة للغزو الثقافي من جهة أخرى، وهذه الطرق كثيرة ومنها:

ـ النظام الاقتصادي المتين.

ـ الدعم السياسي.

ـ حفظ الإيمان، وحفظ التوجهات.

---

(١) م. ن. ص ١٢٣.

(٢) م. ن. ص ٩٥.

ـ خلق تيار فكري موحد ومتجانس، وله أدوار موزعة على كافة المجالات.

ـ عدم الغفلة عن العدو بعد اكتشاف جبهته الحقيقية.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«وإذا لم نكتشف الجبهة التي يتحرك من خلالها العدو، وتتجمع عناصره عندها.. وإذا لم نعرف نقطة نفوذه، فكيف يمكننا أن نمارس الدفاع؟ الأمور الضرورية للمجتمع الآن والتي ينبغي أن لا تهمل في مثل هذه الأوضاع هي أولاً: حفظ التوجهات، وثانياً: حفظ الإيمان، ثم ثالثاً: عدم نسيان العدو والغفلة عن خصومته»[(١)].

ويقول دام ظله:

«أما بصدد الغزو الثقافي وصدّه، فلا ينبغي أن نشك في أننا بحاجة إلى المال والميزانية الخاصة، وإلى إمكانات الدولة ودعمها السياسي، بيد أن الدولة تريد من إعطاء المال، وتقديم الدعم، أن توجد تياراً فكرياً[(٢)].

وفي ختام هذا الفصل لا بد من الإشارة إلى أن الإمام الخامنئي دام ظله تحدث خطيباً، ومن المعلوم بأن الخطابة لها مقتضياتها الخاصة وظروفها، وهذا بخلاف الكتابة والتأليف والبحث العلمي الدقيق، فهذا مما ينبغي مراعاته في الحكم على رؤاه دام ظله، إذ أن ما

---

(١) في حديث له مع قادة الحرس الثوري، ٢٦/ ٢/ ١٣٧١.

(٢) في حديث له إلى عدد من فضلاء الحوزة العلمية في قم ٨/ ٩/ ١٣٦٨.

تصفحناه لا يعني بالضرورة أن هذا يمثل ذروة فكرة بل يصلح للإشارة فقط، وهذا من جهة؛ ومن جهة ثانية فإن الإمام الخامنئي دام ظله تجاوز في خطابه المجتمع الإيراني المسلم إلى جميع المسلمين في العالم.

* * *

الفصل الثاني

الصهيونية

الصهيونية

«الصهيونية» ماهية الشرور، وجهار الرذيلة، ورمز الصلافة والوحشية، وأس الهمجية، استولدها الشيطان وقرنها بإثمه، وأرساها بمكره، فيدها الاغتصاب، وأنفاسها العدوان، وعينها الإرهاب، ورجلها الخراب، وتحركها التباب، ومن ثمّ يصدق عليها قول الشاعر حيث يقول:

كنت فتى عند إبليس فلما تعاظم أمري صار إبليس من جندي

فلقد ادلهمت المعمورة مذ شرعت الصهيونية ببناء «سورها العنصري»، واكتوت الشعوب بنار حديدها منذ استقلت بدعم القوى الاستعمارية ممثلة ببريطانيا وأحلافها.

ولم يتقصر سم الصهيونية الزعاق على خصومها، بل زُرق أيضاً في أبدان مشروعها المدمر، وذلك لكون غدرها ماضٍ بشكل اطرادي وليس فيه خاصية التمييز بين الخصم والحليف إلا مؤقتاً، فقد بذّت الصهيونية الاثنان على حد سواء، ونال كل منهما نصيبه من هذا الإكتواء.

وبالحق فإننا إذا استعرضنا التاريخ البشري، وجلنا في أصلٍ أصول نشأته، وولجنا سيره، وما سيؤول إليه، فإننا لا نجد مثيلاً لصنيع

الصهيونية من حيث الجريمة والعنصرية والإبادة، ذلك أن كل طروء للجريمة، وكل ابتكار للاستلاب، وكل صياغة للشر، وكل ديباجة للإرهاب إنما ينطلق من جحر الصهيونية.

ولا يهمنا في هذا المجال ما وقع البحاثة فيه من جدال من أن «اليهودية» غير «الصهيونية» أو أن «الصهيونية» غير «الإسرائيلية»، أو أن الصهيونية غير «الماسونية»، أو أن بعض المكرة السياسيين يتخذون الديانة اليهودية آلة لتحقيق مآربهم غير الدينية، أو أنهم جميعاً في ذات النصاب.

وإنما ما يهمنا هو أن هذه المنظومة الإرهابية العدوانية السارية هي التي ينبغي الحديث عنها، وتسليط الضوء عليها للتحذير منها أولاً، ولمقارعتها ثانياً، ولإبادتها ثالثاً.

ولا شك البتة بأن انحصار الشر والعداء في هذه الجهة «الصهيونية ومسمياتها الأخرى» أعني «الإسرائيلية» و«اليهودية» و«الماسونية» وغيرها، يؤكد كونها واحداً لا يتجزأ، وذلك لأن الكثير من الجهات، البريئة مما نسب إليها من اتهامات استطاعت بعد حين إبراء نفسها، وتنقية اسمها من الاتهامات والنقوض، بينما هنا في هذه المسميات مجتمعة «الصهيونية» واليهودية، والإسرائيلية، والماسونية، لم نلحظ انفعال أية واحدة منها للتبرأ مما نُسب إليها، بل إنها لم تعلن البراءة مما تفعله رفيقاتها ـ على فرض تغايرها ـ وهذا يكشف بوضوح على أن جميع المسميات واحدة لا تجزأ ولا تتعدد.

ومما يؤكد هذا أن من يطلع على مخططات «الصهيونية» وعقائد

«اليهودية المحرفة» و«التجديفات التلمودية»، وما تخفيه «الماسونية» يعلم بما لا مزيد عليه بأن كل المسميات، وتلك التي ليست معلنة كالليونز والروتاري وغيرهما إنما تدور جميعها في فلك الصهيونية، وتنجذب لمغناطيسها، وتطهو على نارها.

وعلى هذا فإن اشتراك العقائد والأهداف، وانسجام الجماعات والأفراد، وتوحدهم في جهة واحدة، يوضح لنا بأنهم جميعاً فريق واحد، يتنفس بنفس واحد، ويتخندق بخندق فارد، نعم تعدد الأساليب والوسائل يبرر تعدد المسميات وهذا شأن جميع الحركات الطاغوتية الاستعمارية.

وإننا وبعد الذي قدمناه سوف نحاول عرض آراء ورؤى الإمام الخامنئي دام ظله حول «الصهيونية» بما تيسر من كلامه دام ظله الجاري مجرى الخطابة، وذلك بخصوص عنوان واحد وهو:

«وجود الصهيونية مفتقر إلى العدوان».

***

وجود الصهيونية مفتقر إلى العدوان

فالصهيونية إذا ما أرادت التواجد على هذا الوجود كجزء من المنظومة الاجتماعية البشرية عليها أن لا تكون صهيونية، فنفس ظهورها وبروزها إلى العالم باسم «الصهيونية»، دليل على عدم إرادتها مشاركة الآخرين بالحياة السلمية.

وعلى هذا فمن ذاتيات الصهيونية، ومن مقوماتها، ومن أصل أصول تركيبتها «العدوان»، وهي لا تستطيع النظر إلى الآخرين إلا بهذه «النظّارة» العدوانية، ولذلك يصدق على الصهيونية تعريف «العدوان».

بل إن أذهان الشعوب المستضعفة لا تنصرف إلا لهذا التعريف أي «العدوان»، والحق يُقال أن «الصهيونية» إذا أرادت أن تكون شبيهة بالعالم المسالم فعليها أن تبدل جلدها، وتغيّر لبوسها شكلاً ومضموناً، بل عليها أن تفني ذاتها وتتحول إلى مخلوق جديد، يعرّف عن نفسه بتعريف جديد.

وعلى هذا فأمام الصهيونية خياران:

الأول: إبادة نفسها لا على نحو الهلاك، بل على نحو الأوبة إلى الرشاد.

الثاني: البقاء والاستمرار على العدوانية، وجوداً وممارسة.

ومن الواضح أن الصهيونية رفضت الخيار الأول، وأكّدت على عنوانها العدواني من خلال إظهارها له بالقتل والغصب ومختلف ألوان وصنوف الجريمة.

وانطلاقاً من هذا فعلى معاصري «الصهيونية» أياً تكن هويتهم الوقوف على أحد خيارين:

الأول: العمل على إبادة الصهيونية.

الثاني: الانخراط في سلكها العدواني.

ومن لم ينتهج الخيار الأول فعليه أن يتحمل شرورها وجرائمها. وهذا يعني عدم الوسطية بين هذين الخيارين، إذ إن الساكت عن مواجهة «الصهيونية» هو يعمل على معونتها من حيث يدري أو لا يدري؛ وذلك لنقطتين:

الأولى: أنه يقلّل من عدد المتصدين لهجمتها العدوانية.

الثانية: أنه يصيغ منهجاً تثبيطياً إرجافياً، تضعيفياً، يوسع من دائرة العدوان، ويضيّق دائرة المواجهة.

وإنسجاماً مع مقولة عدم الوسطية كانت دعوة الإمام الخميني قدس سره إلى وجوب «إزالة إسرائيل من الوجود» لكونها «جرثومة فساد» و«غدة سرطانية» و«ولد غير شرعي» لأمريكا، لا من ناحية إفناء بشريتها بل من ناحية إفناء عقليتها المدمرة، وفكرها الهدام.

وأيضاً وانسجاماً مع ذلك كانت دعوة، آية الله العظمى السيد

موسى الصدر حفظه الله إلى مقاتلة إسرائيل «بالأسنان والأظافر» لكونها «شر مطلق».

ولأجل ذلك اعتبر الإمام الخامنئي دام ظله «الصهيونية» ذات طبيعة عدوانية، ولا تستطيع البقاء والديمومة إلا على أنفاس العدوان والجريمة.

يقول دام ظله:

«ومعنى هذا إن طبيعة هذا النظام (الصهيونية) طبيعة عدوانية، لقد أقيم الكيان الصهيوني أساساً على العنف والقهر والقسوة وبدون هذه الأساليب لم ولن يكون قادراً على البقاء»[(١)].

ولا ريب بأن توصيف الإمام الخامنئي دام ظله للصهيونية بأنها ذات طبيعة عدوانية لم يأتِ من فراغٍ بل ثمة شواهد كثيرة على صوابية هذا التوصيف منها:

أ ـ عدوانها على لبنان.

ب ـ عدوانها على فلسطين.

ج ـ عدوانها على دول عربية أخرى.

وسنتكلم عن هذه الشواهد ببعض التفصيل المستفاد من كلام الإمام الخامنئي دام ظله.

* * *

(١) سلسلة في رحاب الولاية، عدد ٢٧١، ص ١٦ ـ ١٧.

عدوان الصهيونية على لبنان

مذ استعمرت إسرائيل فلسطين ووفق مخطط صهيوني مهول، وجرياً مع طبيعتها العدوانية فقد أضرت البلدان التي بمحاذاة فلسطين، ومنها لبنان.

فقد احتل الكيان الصهيوني لبنان وجرّب فيه كل أساليبه الإجرامية والإرهابية، وأمعن فيه وبكل وحشية قتلاً، وجرحاً، وأسراً، ودماراً، وذلاً وتقريعاً، وتفريقاً وفتنة، وبلغت عدوانيته حداً مفرطاً حيث أن بصماته وإشاراته لا يمكن نسيانها البتة.

على أنه لو كانت ثمة مواجهة مضادة بادىء الأمر لهان الخطب، لكن هذه الجرائم بادرت إليها إسرائيل انشاءً وابتداءً، وهذا يكشف عن أن من ذاتيات الصهيونية «العدوان».

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«فها هو العدو الصهيوني يهاجم كل يوم جنوب لبنان، وهو لا يغير على المقاتلين اللبنانيين، وإنما يستهدف قراه ومدارسه، كما حدث قبل عدة أيام حيث هجم على مدرسة هناك وقتل عدداً من الأطفال، وهؤلاء لم يحملوا السلاح ولم يقوموا بأي عمل عسكري، ولكن هذه

هي طبائع المعتدي، فالصهاينة حينما دخلوا لبنان ارتكبوا فيه المجازر»[(١)].

نعم لقد قامت الصهيونية ممثلة بإسرائيل بعملية اعتداء على لبنان تمثلت باغتصاب أراضيه وكذا مياهه، وبقتل إنسانه، وكذا جرحه وأسره، وتعذيبه ونفيه.

وكانت هذه الاعتداءات تتم من طرف واحد وهو إسرائيل، ولكن وبعد فترات من الزمن، وتداعيات عدة من جملتها العدوان الصهيوني، تشكلت نواة المقاومة المضادة، مما حدا بالصهيونية أن تضع لنفسها دروعاً بشرية رخيصة عرفوا فيما بعد بالعملاء.

ولقد تمخض المخاض اللبناني فولّد فئاتٍ ثلاث:

الفئة الأولى: المقاومة بمختلف أشكالها ومسمياتها.

الفئة الثانية: المدنيون المسالمون.

الفئة الثالثة: العملاء، وينقسمون إلى قسمين:

الأول: عملاء يعملون تحت قيادة الصهاينة بشكل واضح وعلني، ويرتبطون بجهازها العسكري بشكل مباشر، وهم عملوا على مرحلتين:

المرحلة الأولى: بقيادة العميل سعد حداد.

المرحلة الثانية: بقيادة العميل انطوان لحد.

الثاني: عملاء يعملون على شكل حليف استراتيجي مع العدو

---

(١) م. ن. ص ١٦.

الصهيوني وهم بعض الساسة اللبنانيين الذين احتلوا مناصب عالية في الدولة بقهر الاحتلال، وأيضاً بعض رجال الدين في لبنان، وبعض الموسومين بالفكر والثقافة الذين يعتبرون لبنان دولة غير عربية بل بلداً فينيقياً له صلة تاريخية وعقائدية وفكرية بدول أوروبية وغربية معروفة، ولا ننسى أن لبعض المسلمين عمالة من هذا القبيل كما جرى في حرب تموز ٢٠٠٦ وما بعدها.

ومهما يكن فإن الصهيونية وتبعاً لذاتها العدوانية، ونظراً لعدم مكنتها على تتبع المقاومين ومواجهتهم، عملت بمعية عملائها على ضرب المدنيين المسلمين، ولقد اعتدت الصهيونية على فئة المدنيين المسالمين ابتداءً وبداراً وذلك من الناحيتين البشرية والمادية:

أما البشرية فمن خلال:

ـ قتل الشيوخ والعجز من كبار السن، وقتل الشباب، والأزواج، والأطفال والأجنة، وكانت عملية القتل تتم بصور مختلفة، فإما حرقاً، أو رمياً بالرصاص، أو الصواريخ، أو التعذيب، أو بالعبوات الناسفة.

ـ اعتقال المواطنين الآمنين وخاصة الشباب منهم، وقد يعقب الاعتقال القتل أو العلل المستدامة.

ـ التسبب بجرح المواطنين مع ما للجرح من آثار وخيمة.

ـ إذلال الناس، وارعابهم وإرهابهم بطرائق مختلفة.

ـ خلق أجواء الفتنة في البلاد بين العباد، عبر المنافرة الحزبية، أو التباين الديني والمذهبي.

وأما المادية فمن خلال:

- اغتصاب الأراضي، وسرقة المياه، وسلب مكنونات الأرض، وإتلاف المزروعات، وتدمير الممتلكات الخاصة والعامة من قبيل المنازل، والسيارات، والمواشي والزروع، والمصانع والمحال التجارية وغيرها.

- التسبب بهجرة الناس من قراهم إلى قرى أخرى داخل الوطن اللبناني، أو بهجرة الناس إلى خارج الوطن، وكذا التسبب بهجرة الأدمغة(*).

- التسبب بخراب الانتاج الزراعي والصناعي، وإخراج الأموال من الوطن وغيرها.

- تدمير المرافق الحيوية كالمستشفيات، والطرقات، والجسور، ومحطات الكهرباء والمياه، وتخريب قنوات الصرف الصحي، والمواسم السياحية وغيرها.

- الحؤول بين العمال وأعمالهم زراعياً وصناعياً، وتربوياً، واجتماعياً، وطبياً وغير ذلك.

ولقد تجلى العدوان الصهيوني على لبنان بأتم تجلياته من خلال سيطرته على القرار السياسي فيه، حيث استطاع الكيان الصهيوني مصادرة القرار السياسي في لبنان، وما كان ليتسنى له ذلك لولا سبق

(*) واليوم وأنا أقوم بتصحيح هذا الكتاب صدمنا بخبر سقوط طائرة أثيوبية تقل جمعان اللبنانيين الجنوبيين وقد وافتهم المنة جميعاً.

الغزوة العسكرية والتي من ثمارها احتلال عاصمة لبنان «بيروت» فضلاً عن احتلال باقي المناطق، فبعد احتلال العاصمة وضواحيها تمت السيطرة على المقدرات السياسية اللبنانية، وهذه السيطرة على القرار السياسي فسحت له المجال ـ ومن أوسع الأبواب ـ للإمعان في الجريمة.

لقد ثبت بالوجدان والتجربة أن أية دولة تصبح سهلة السلب والاغتصاب حين يمتلك عدوها قرارها السياسي، فهذا العدو وبعد تملّكه للقرار السياسي يعين رئيساً للجمهورية على ظهر دبابة، وحكومة تعمل بأمرته، وبعد أن يلهيها بالمال والجاه يوعز إليها تلبية جميع رغابته وأطماعه، وتغطية جميع جرائمه، أما إذا عكسنا الصورة فاستطاع العدو بقوته وجبروته أن يحتل وطناً بكامله، ولكنه لم يستطع مصادرة قراره السياسي، فإن ساسة هذا الوطن بوسعهم تحريك قضيتهم المحقة عن بعد، ويمكنهم تحرير بلدهم من الاحتلال والاستغلال، وتحقيق الاستقلال الفعال، فيما لو أخلصوا لقضيتهم، وصدقوا بنواياهم التحررية.

ولكن مع كون الصهاينة قد صادروا القرار السياسي اللبناني، وغدا ساسة لبنان بأمرتهم، فإن الصهاينة هاهنا تعاملوا مع لبنان تعامل المالك مع المملوك، والسيد مع العبد، بل أصبح لبنان من أملاكهم الخاصة بفعل مصادرتهم لقراره السياسي.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«كانت إسرائيل تحتل العاصمة اللبنانية وكانت تسيطر على

المقدرات السياسية لهذا البلد»[(١)] .

وهذه إشارة منه دام ظله إلى سيطرة الصهيونية على لبنان من منظار سيطرتها على مقدراته السياسية.

وللتأكيد على كون السيطرة على المقدرات السياسية هي مفتاح السيطرة على كامل الوطن لحظنا وبالتجربة أنه وبعد استقلال قرار لبنان السياسي بفعل ممانعة ومقاومة اللبنانيين، فإن العدو الصهيوني احتاج إلى آلته العسكرية، والبشرية العميلة لمواجهة لبنان، وذلك بغية إعادة أمجاده التي ولّت، ولو أن العدو الصهيوني ما زال مسيطراً على القرار السياسي لما احتاج إلى إقحام آلته العسكرية!!.

وبالطبع فإن القرار السياسي ما كان ليستقل لولا ثبات وتضحيات المقاومين الشرفاء في مواجهة العدو الصهيوني وطرده من أغلب الأراضي اللبنانية.

ولقد حاولت إسرائيل في الآونة الأخيرة العودة إلى مصادرة القرار السياسي اللبناني من خلال استصدار قرار دولي رقمه ١٥٥٩ يقضي بزعزعة لبنان، والانقلاب على مقاومته وقراره السياسي الرسمي، وكان من أبرز اللبنانيين المتعاونين مع إسرائيل في تنفيذ هذا القرار هم بعض الساسة الذين تسنموا بعض المناصب إذ راحوا يتعاملون مع إسرائيل على أساس أنها حليف ومنقذ، فيما تعاملوا مع الحليف العربي الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بلبنان بحكم الأخوة والجيرة

---

(١) م. ن. عدد ٣١٩، ص ٩.

على أساس أنه عدو بسبب بعض الشوائب التي لا ترقى إلى درجة اعتبار الحليف والأخ عدواً.

وهذا يدل على أن هناك نظرة اعتقادية مبيّنة تظهر بعض ملامحها حين تحين الفرصة وهي قاضية بأن إسرائيل ليست عدواً للبنان وإن فعلت ما فعلت.

ولكن ولله الحمد فإن المقاومة والشرفاء في لبنان استطاعوا اغلاق أبواب المؤامرة على هؤلاء، بعدما دعا سيد المقاومة الإسلامية إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية حقيقية من خلال قواسم مشتركة، ولله دره فقد عض على الجراح خدمة للوطن وللوطنية، وإصراراً على مواجهة العدو الحقيقي دون التلهي بالرد على الأقزام في الداخل، والذين يبيعون بعضهم ويشترون من أجل مركز نيابي أو وزاري، كما حصل مع بعضهم.

وعلى أي فإن الفئة المقاومة في لبنان تنامت، وتطورت، وكانت تمر بفترات متفاوتة من حيث الشدة والضعف، إلى أن تبلورت بصورة جلية، وظهرت بحلة بهية ماثلة إلى العيان باسم «المقاومة الإسلامية».

حيث أنها استمدت وجودها وممانعتها وجهادها، وصبرها ويقظتها، من الإسلام عقيدة وممارسة، ومن الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني قدس سره ولاءً ودعماً؛ والآن تستمر مستمدة من الإمام الخامنئي دام ظله الولاء والرعاية.

وبالعودة إلى العدوان الصهيوني على لبنان كمبرز على أنه من ذاتيات هذا الكيان الصهيوني «العدوان»، فإنه ومضافاً إلى ما مر فإنه قد

ارتبط اسم الصهيونية بمجازر سوداوية وحشية حصلت في لبنان بفعل صهيوني حقير، ومن هذه المجازر التي لم تنساها الذاكرة اللبنانية ولن تنساها:

مجزرة حولاً - مجزرة الزرارية - مجزرة صبرا وشاتيلا - مجزرة صيدا - مجزرة بئر العبد - مجزرة الزهراني - مجزرة عربصاليم - مجزرة النبطية الفوقا - مجزرة قانا - مجزرة المنصوري(١).

وهذه بعض المجازر لا كلها، وهي تدل على اسم إسرائيل وعلى نموذجها الحضاري التي تريد أمريكا تعميمه على كل الشرق الأوسط!!!



(١) كان هذا الكلام قبل العدوان الإسرائيلي للبنان عام ٢٠٠٦م في شهر تموز؛ ففي هذا العدوان فاقت المجازر الإسرائيلية كل المجازر السابقة، ولكن الله تبارك وتعالة منّ على المؤمنين الموالين لمحمد وآل محمد بالنصر الإلهي المبين.

عدوان الصهيونية على فلسطين

إن عدوان الصهيونية النابع مع ذاتياتها على فلسطين، كان ولا يزال عدواناً شاملاً وكاملاً وعلى جميع الصعد، وبمختلف المجالات والاتجاهات، فأينما توجهت في فلسطين رأيتها تحكي العدوان الصهيوني.

لقد جسدت فلسطين كل طموحات وآمال الصهيونية، فاختارتها عما سواها لتحقيق أطماعها، فكانت محلاً للعدوان وأهلاً لمواجهته، وقد تمثل العدوان الصهيوني على فلسطين بالآتي:

* * *

اغتصاب أرض فلسطين

فقد عمدت الصهيونية إلى اغتصاب أرض فلسطين، وعزت أمر اغتصابها للأرض الفلسطينية إلى زعمين اثنين:

الأول: هو عبارة عن زعم ديني لا أصل له ولا أساس، وهذا الزعم إنما قدرت إيراده لكسب تأييد اليهود في العالم، ولتبرير أعمالها الإجرامية.

الثاني: إقناع الدول الكبرى ـ خاصة قوى الاستعمار والاستكبار ـ بأن الكيان الصهيوني هو حاجة ملحة لها، لكونه الركن الأساسي والضمانة المؤكدة لتأمين مصالحها في الشرق الأوسط.

ولتكريس هذين الزعمين عملت على محورين:

المحور الأول: تمثل بزيادة الضغط الداخلي على أبناء فلسطين، وذلك عبر قنوات التهجير والتشريد، والقتل والاضطهاد، وبناء المستوطنات بعد غصب الأراضي، وجلب اليهود من جميع أقطار العالم، فضلاً عن آخرين بدعوى أنهم يهود إلى أرض فلسطين.

المحور الثاني: من خلال كسب تأييد القوى الكبرى، ومن خلالها لشعوب العالم، حيث أشاعت إعلامياً مسألة ظلامة اليهود من

خلال الإدعاء المزعوم بما يسمى «بالمحرقة اليهودية» على أيدي الألمان.

والجميع يعلم قدرة اللوبي الإعلامي الصهيوني على إنجاح هذا الإختراق الإعلامي الدولي والعالمي والشعبي.

وبهذين العملين إستطاعت الصهيونية تكريس نفسها في الداخل، وكسب تأييد الدول الكبرى سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وعاطفياً في الخارج.

وأدل دليل على ذلك أن الكيان الصهيوني اليوم هو مجرد جسم مصطنع وبمجرد ما تنقطع عنه الإمدادات الخارجية فإنه يتزلزل ويتهدم ويصبح أثراً بعد عين.

والسؤال الذي برز هنا، هو كيف استطاعت الصهيونية احتلال أرض فلسطين؟؟

والجواب هو:

إن احتلال أرض فلسطين تم بمؤامرة عظمى حيكت بأيدي القوى الكبرى مجسدة ببريطانيا آنذاك وبأحلافها، وبتحريض وتحثيث جدي من قبل الصهاينة المتغلغلين في مراكز القرار الدولي، وعلى هذا فقد تسبب باحتلال أرض فلسطين كل من:

أ ـ بريطانيا رائدة الاستعمار، والجد الأول للاستعمار.

ب ـ الحركة الصهيونية القوية.

ج ـ النازيون الألمان المتواطئون مع الصهاينة بخلق أكذوبة «المحرقة».

د ـ الخونة من العرب والمسلمين.

علماً بأن احتلال فلسطين كان هدفاً قديماً جداً لدول الاستعمار، وذلك لأجل تحقيق مآرب عدة منها:

المأرب الأول: منع وحدة الدول العربية والإسلامية، وإثارة القلاقل والفتن فيما بينها.

المأرب الثاني: تأمين المصالح الاقتصادية.

المأرب الثالث: القضاء على الإسلام، والثأر للحروب الدينية القديمة التي جرت ضد المسلمين.

ويحدثنا الإمام الخامنئي دام ظله عن كل هذا فيقول:

«إن الأرض الفلسطينية عامة والقدس خاصة كانت على مر التاريخ مطمع بعض القوى الغربية، كما أن الحروب الصليبية المتواصلة الطويلة ضد المسلمين كانت مظهراً بارزاً لتلك الأطماع في هذه الأرض المقدسة، ولا غرو أن يقف ذلك القائد العسكري الغربي بعد انهزام الدولة العثمانية ودخول الحلفاء إلى القدس، ويرفع عقيرته قائلاً: «الآن انتهت الحروب الصليبية». احتلال هذه الأرجاء نتيجة مشاريع متعددة الأطراف، ومعقدة وبهدف منع المسلمين من الإتحاد والائتلاف، ومنع تأسيس دول إسلامية مقتدرة، وثمة أدلة على أن الصهاينة كانوا على علاقة وثيقة بالنازيين الألمان، وتقديم قوائم مبالغ فيها بمقتل اليهود،

إنما كان يستهدف إثارة عواطف الرأي العالمي وتهدئة الأجواء لاحتلال فلسطين، وتبرير جرائم الصهاينة، بل أنه ثمة وثائق تثبت أن جمعاً من الأشرار وحثالات البشر غير اليهود من شرق أوروبا عبأوهم ودفعوهم إلى فلسطين على أنهم يهود ليقيموا نظاماً معادياً للإسلام في قلب العالم الإسلامي بحجة حماية ضحايا النازية، وليفصلوا بين شرق العالم الإسلامي وغربه بعد وحدة استمرت ما يقارب أربعة عشر قرناً، فوجيء المسلمون في بداية الأمر، لأنهم كانوا في غفلة من حقيقة مشاريع الصهاينة وحماتهم الغربيين، وانهزم العثمانيون، وأُبرمت اتفاقية سايكس بيكو سراً لتقسيم البلدان الإسلامية في الشرق الأوسط على الفاتحين، عصبة الأمم أناطت الوصاية على فلسطين بالبريطانيين وهؤلاء قدموا وعود المساعدة للصهاينة وفي إطار مجموعة من المشاريع المدروسة استقدموا اليهود إلى فلسطين وشردوا المسلمين من ديارهم»[1].

ويظهر مما تقدم أمور منها:

١ ـ أقدمية المؤامرة المحاكة لاحتلال فلسطين.

٢ ـ وجود تبرير عاطفي مدروس وهو «محرقة اليهود».

٣ ـ وجود تبرير سياسي واقتصادي بمنع وحدة المسلمين، وبربط النظام الصهيوني بالدول الغربية ارتباطاً عضوياً.

٤ ـ العمل الدؤوب من قبل الحلفاء والصهاينة لاحتلال فلسطين

---

(١) م. ن. ص ٤.

وعاصمتها القدس وتمثل بـ:

أ ـ استِقدام العنصر البشري إلى فلسطين سواءً تشكل من اليهود أو من غيرهم.

ب ـ تأمين مقدمات هذا الاحتلال من خلال اتفاقية سايكس بيكو، حيث أن بريطانيا كانت أرجح كفاً من فرنسا فجعلت موصاة على فلسطين، فأعطت اليهود وعداً عملت على تطبيقه عملياً وعُرف بوعد بلفور.

ومما ساعد على ذلك هو غفلة المسلمين عما يُحاك من حولهم.

أجل وبفعل مشاريع وأساليب متعددة استطاعت الصهيونية ومن وراء ذلك عائلة الاستعمار والاستكبار العالمي، السيطرة على كامل تراب فلسطين، وتحقيق المصالح المرجوة من زرعها في قلب العالمين العربي والإسلامي سيما بث الفرقة، وخرق بنيان الأمة.

ولكن الشعار البارز الذي كان من أهم سمات هذا العصر هو «العنصرية»، فمفهوم العنصرية باللغة الحضارية الحداثية المحكية في أواننا وزماننا هو من المفاهيم القبيحة والمتبرأ منها، والمعدودة من مخلفات العصور البائدة والمتوحشة.

العنصرية هي من جملة الإشمئزازات التي يُتنفر منها في أعصارنا هذه سيما عصر الانفتاح والتلاقح الفكريين، وما يسمى «بالقرية العالمية الواحدة» و«حوار الحضارات»، فمع كل هذه «الإرهاصات العصرية» و«التفاعلات التجددية»، وإزاء هذه الأضواء التطورية، والمزايا الجديدة لعالم الإنسانية، برزت العنصرية بأبشع صورها، وأقذر

ملامحها، ومع غرابة هذا الأمر بيد أن الأغرب منه هو علمنا ومعرفتنا بأن من يقف وراء عملية إذكاء «روح العنصرية» وإدارة دفتها، وزيادة وحشيتها، وتبرير أفاعيلها، إنما هو «بريطانيا وأمريكا»، أما العنصرية بذاتها فهي الصهيونية، حيث أن إحداهما ـ بريطانيا وأمريكا ـ سبقت الأخرى، والتالية ساندتها سابقاً وفاقتها إجراماً وعنصرية لاحقاً، وما زالت على عهدها الإجرامي العنصري، وتساندها في ذلك الآن تلك التي اسست العهد الإجرامي أي بريطانيا، وهاهنا ملاحظة قوامها:

أن بريطانيا في السابق كانت ثقل العنصرية والإجرام، وكانت أمريكا تمثل رديفاً لها، بينما الآن غدت أمريكا هي ثقل العنصرية والإجرام وبريطانيا هي الرديف.

وبصراحة فإن قدرة أمريكا على تبرير الجريمة والعنصرية في هذا العصر وقدرتها على خلق منظومة عنصرية إجرامية مع كثرة الشعارات النظيفة مما يدعو إلى العجب والاستغراب، إذ أنها كيف تستطيع جعل كل العالم تقريباً يوافقها الرأي في ممارسة العنصرية والإجرام، ويدعمها فيما يضج هو بالشعارات البراقة والأخاذة، من قبيل «السلام» و«الحرية» و«حقوق الإنسان» وغيرها من الشعارات.

وعلى أي فإن العنصرية بكامل سفورها قد تجسدت بعملين متلازمين مركزيين هما:

الأول: طرد شعب فلسطين بعد احتلال أرضه.

الثاني: إحلال اليهود ومن يسمون باسمهم محل شعب فلسطين.

والسؤال المطروح: لماذا يطرد شعب ويستقبل آخر؟؟

لماذا يُنفى الشعب الفلسطيني ليحل محله شعب آخر؟؟

وهل هذا إلا عنصرية؟؟

بل لماذا يُطرد فلسطيني مسالم ليحل محله صهيوني غاصب؟!!

وهل هذا إلا تمييز عنصري بغيض؟!!

إن هذا العمل وبلا شك وصمة عار على من يدير العالم، ويحمل الآخرين على السلام.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«ومن جملة القبائح التي وقعت في هذا القرن... أو ربما يمكن القول أن أقبحها هي القضية الفلسطينية وذلك لأنهم طردوا شعباً من بلده.. وجمعوا حفنة من الناس من أرجاء العالم وأحلّوهم محل أبناء ذلك الشعب، بدعوى أن الشرذمة التي جمعوها من أكناف العالم تعود إلى عنصر واحد وهو «العنصر الإسرائيلي» أو العنصر اليهودي، إن هذا العمل عمل عنصري قبيح، وهذا العمل فيه خزي وعار على كل من يقوم به في أي مكان في العالم حتى وإن كان على نطاق ضيّق، في حين أنهم مارسوا هذا العمل على نطاق بلد كامل، فمن هذه الجهة التي قامت بهذه الفعلة؟ في الحقيقة إنها بريطانيا ومن بعدها أمريكا»[١].

لا شك بأن من الفظيع جداً بل من السخرية أن تحمل أمريكا كل

(١) م. ن. عدد ٢٧١، ص ١٤ ـ ١٥.

البشرية على أن تتطلع إليها كمعلم وقدوة لقضايا «الحرية» و«السلام» و«المحبة» و«احترام حقوق الإنسان» وغيرها، ثم تكون هي بنفسها مستند العنصرية وثقلها العظيم، بل الداعي والراعي الرسمي للعنصرية، وحجر الزاوية الأساس للعرقية، والركن النبراس لكل أشكال الإرهاب.

وهذا يدل بما لا مزيد عليه أن أمريكا جافة إنسانياً، ويابسة أخلاقياً، وفارغة مضمونياً من الحياة، وهامشية في القضايا الإنسانية، ومصاصة للدماء، ناهبة للمقدرات والثروات، وقاتلة للأبرياء، وهاضمة للحقوق، ومسببة للأذى، وفاتحة لأبواب الشرور، وهي ترتخي على توتر أعصاب المعذبين، وتصنع الإرهاب من ألف ألف باب، وتبتكر الدمار، وتكتسح الخير، وتبيد النوايا الحسنة.

وبالطبع فإن هذا الكلام لا يرد على الشعب الأمريكي إذا كان مسالماً ورافضاً لما تفعله أمريكا بحق الشعوب الأخرى، ولله الحمد فقد رأينا على شاشات التلفزة، وسمعنا في الإذاعات، وقرأنا في الصحف والمجلات والكتب، كل هذه الجموع من الشعب الأمريكي المنصف بحق الإدارة الأمريكية حيث قال لها بجهار الصوت: أنت مجرمة ومدانة.

وبالعموم لو لم تكن الإدارة الأمريكية بهذه المواصفات البشعة فكيف نفسر تأسيسها لهذه العنصرية ودعمها لها دعماً مطلقاً، هذه العنصرية التي من أحد آثارها الجلية الواضحة اغتصاب فلسطين، حيث أن «هناك عملية إغتصاب، إذ تجمعت شرذمة من البشر من أكناف الدنيا

فأقاموا شعباً لقيطاً وزائفاً وجهزوه بوسائل القوة»[١].

ولا ريب بأن اغتصاب فلسطين من خلال عمل عنصري، هو حقيقة واقعية وليس يغيّر هذه الحقيقة كل ما يدلسه العدو، ويخفّف من هوله الصديق، ويعمل على تزييفه العميل المأجور، فليست تتغير حقيقة الاغتصاب، ولا تغيّرها:

١ ـ الاعترافات بالكيان الصهيوني قديماً وحديثاً من قبل «عصبة الأمم» أو «هيئة الأمم» أو «الدول الغربية»، أو بعض الدول العربية والإسلامية.

٢ ـ إنشاء السفارات الصهيونية في الكثير من الدول، وفي الدول العربية والإسلامية، أو العلاقات الاقتصادية وما شاكل.

٣ ـ الاتفاقيات الموقعة بين الثلاثي:

أ ـ الراعي غير النزيه «أمريكا».

ب ـ الأنظمة العربية ذات الصلة.

ج ـ السلطة الفلسطينية الخائنة والساذجة في آن.

٤ ـ قوة الصهاينة، وبطشهم.

٥ ـ تخاذل العرب والمسلمين إزاء قضية فلسطين.

أجل إن كل هذه العوامل لا تغيّر الحقيقة، ولا تصرف أهل الحقيقة عن تغيير واقعهم المغتصب إلى واقع حر ومستقل بالوهم كما

(١) م. ن. عدد ٣٠٠، ص ٥.

يفعل الآن اللامبارك في مصر وكل مصري معه حيث أن لسان حالهم يقول: فلسطين في ظل الحكومة الإسرائيلية حالتها كويسة!! فلقد وعى الشعب الفلسطيني ومن ورائه الشعوب العربية والإسلامية اليقظة حقيقة اغتصاب فلسطين.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله: «**فالجيل الذي تحمل أعباء القضية الفلسطينية اليوم هو جيل واعٍ وعارف بالحقيقة، وأي حقيقة؟ إنها حقيقة ما أراده السلطويون وأربابُ الثروة في العالم ـ وفي غفلة من الزمن ـ من محو شعب بأكمله من الأرض، وإزالة بلد من الخارطة الجغرافية، وقد توهموا نجاحهم في هذه المهمة**»[١].

وصفوة القول أن اغتصاب فلسطين حقيقة، لكنها حقيقة مبتلّة بالمرارة والأذى، ولبلورة هذه الحقيقة أكثر لا بد من معرفة جذور هذه الحقيقة.

لا شك بأن جذور هذه الحقيقة أي «اغتصاب فلسطين»، إنما نبتت من خلال عوامل شتى، ذكرنا شيئاً منه سابقاً ونضيف شيئاً آخر هنا، وهي:

١ ـ الثروة والنفوذ.

٢ ـ الاطماع التوسعية لبريطانيا وأحلافها.

٣ ـ الحنكة الإسرائيلية الناتجة عن تخطيط مسبق.

---

(١) م. ن. ص ٤.

٤ ـ الجريمة والإرهاب والبطش.

٥ ـ استغلال الدين اليهودي.

٦ ـ نشر الفتن، والرشاوي.

٧ ـ إرادة الدول الغربية القاضية بالتخلص من اليهود القاطنين في ربوعها.

٨ ـ ضعف المسلمين جراء تلهيهم في الداخل، وعدم وعيهم لم يُحاك لهم في الخارج.

٩ ـ اجتماع أهداف القوى الكبرى في محل واحد وهو فلسطين.

١٠ ـ كون الوصاية البريطانية الممهدة لاغتصاب فلسطين من قبل الصهاينة، من الانعكاسات الخطيرة للحرب العالمية.

وهكذا تم للغاصبين ما أرادوا، ولتفصيل أفضل نترك الكلام للإمام الخامنئي دام ظله حيث يقول:

«ما هو أساس القضية الفلسطينية؟ أساسها هو أن حفنة من اليهود المتنفذين في العالم راودتهم فكرة تأسيس وطن مستقل لليهود، وقد استغلت الحكومة البريطانية هذه الفكرة من أجل حل مشكلتها، وكان اليهود قبل ذلك يفكرون في التوجه إلى أوغندا وتأسيس وطن قومي لهم هناك، وفي وقت آخر كانوا يفكرون في تأسيس وطن لهم في طرابلس عاصمة ليبيا، وتقدموا بطلبهم هذا إلى الإيطاليين الذين كانوا يحتلون طرابلس في حينها، إلا أن الإيطاليين رفضوا طلبهم، وفي الختام اتفقوا

على هذه الغاية مع الإنجليز الذين كانت لهم في ذلك الوقت أغراض استعمارية خطيرة في الشرق الأوسط، ورأى الإنجليز حينذاك أن من المفيد بالنسبة لهم استقدامهم إلى المنطقة كأقلية في أول الأمر ثم يزدادون تدريجياً ويتخذون لهم بقعة من الأرض في موقع حساس ـ لأن فلسطين تقع في منطقة حساسة ـ ثم يقيموا لهم دولة فيها لتصبح في المستقبل حليفاً لبريطانيا وتحول دون ظهور إتحاد بين دول العالم الإسلامي وخاصة بين الدول العربية في المنطقة»[١]

ولقد ظهر مما سبق أن محاولة إقامة وطن قومي للصهاينة تمت على مراحل:

المرحلة الأولى: أوغندا.

المرحلة الثانية: طرابلس عاصمة ليبيا.

المرحلة الثالثة: فلسطين.

وحيث أن احتلال فلسطين يتلائم مع مصالح كل من الداعم «بريطانيا»، والمدعوم «إسرائيل»، وحيث أن فلسطين كانت محتلة من قبل بريطانيا، وحيث أن الزعم الديني، والزخم العاطفي عند الصهاينة موفور، فقد أخذت المؤامرة طريقها إلى التطبيق وتمثل باحتلال كامل فلسطين، والطريقة التي اتبعت عملياً لاغتصاب فلسطين هي:

١ ـ التواجد التدريجي للصهاينة وأشباههم بحماية بريطانيا.

---

(١) م. ن. عدد ٢٧١، ص ٢١.

٢ ـ شراء الأراضي من الفلسطينيين بواسطة سماسرة مأجورين.

٣ ـ ارتكاب مجازر وجرائم بحق الشعب الفلسطيني بدعم بريطاني وأمريكي.

٤ ـ استمالة الرأي العام العالمي والتأثير عليه إعلامياً.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«وخلاصة القول هي أنهم تلقوا الدعم من بريطانيا بالدرجة الأولى، وبعض الدول الغربية الأخرى، ثم أنهم انفصلوا تدريجياً عن بريطانيا وارتبطوا بأمريكا، وقد احتضنتهم أمريكا تحت جناحها حتى وقتنا الحاضر، ولقد جاؤوا واحتلوا أرض فلسطين وأوجدوا لهم دولة بهذه الصورة، وكان الأسلوب الذي اتبعوه لبسط سلطتهم على هذه الأرض هو أنهم لم يأتوا في بداية الأمر عن طريق الحرب وإنما جاؤوا عن طريق الحيلة وعملوا على شراء الأراضي الفلسطينية الواسعة الخصبة التي كان الفلاحون والمزارعون العرب يعملون فيها، بأسعار مضاعفة من ملاّكها ـ الذين كانوا يعيشون في أمريكا وأوروبا ـ وكانوا يترقبون مثل هذه الفرصة، فسارعوا إلى بيع أراضيهم لليهود وكان لهم سماسرة طبعاً يساعدوهم على شراء تلك الأراضي، حيث يُنقل أن أحد سماسرتهم كان السيد ضياء شريك رضا في انقلاب عام ١٢٩٩ (هـ ش) الذي ذهب من إيران إلى هناك وعمل كسمسار لشراء الأراضي من المسلمين لليهود والإسرائيليين، وما أن أصبحت تلك الأراضي ملكاً لهم حتى عملوا تدريجياً على إخراج المزارعين فيها بأساليب وحشية قاسية، كالضرب والقتل، وعملوا حينذاك على استمالة الرأي العام

العالمي إلى جانبهم بأساليب الكذب والتضليل[١].

والملاحظة الشديدة التي تُلحظ هنا في هذا المجال هي أن الصهاينة لا يتخالفون إلا مع الأقوى، فعندما ضعفت بريطانيا وقويت أمريكا عملوا على اختراقها وتطويعها لهم، وطبعاً فإن أمريكا ليست غافلة عن أغراض الصهيونية وإنما هي تدعم إسرائيل لمصلحة أو لتوهم مصلحة.

وقد تسأل لماذا العلاقة متينة إلى هذا الحد بين الثالوث الإرهابي الذي يطلق عليه اسم الاستكبار العالمين أي بريطانيا، وأمريكا، وإسرائيل؟؟

والجواب أن العلاقة قائمة بينهم على ثلاثة أسس:

الأساس الأول: أن طبيعتهم واحدة وهي الطبيعة العدوانية.

الأساس الثاني: اجتماع الأهداف الدينية، وهذا ما يُعرف الآن «بالصهيونية المسيحية» أو «المسيحية المتصهينة».

الأساس الثالث: أنه تجمعهم مصالح استعمارية، توسعية، اقتصادية.

وعوداً على بدء فإن جميع ما تقدم يفيد بالآتي:

لقد اغتصبت فلسطين جهاراً من قبل الصهاينة، واغتصاب الصهاينة لفلسطين شاهد حال على طبيعة الحركة الصهيونية العدوانية.

---

(١) م. ن. ص ٢١ ـ ٢٢.

ويعزو الإمام الخامنئي دام ظله اغتصاب فلسطين من قبل الصهاينة ابتداءً، والتسلط عليها دواماً إلى ثلاثة أسس:

أولاً: استخدام أسلوب الشدة والقسوة مع الشعب الفلسطيني.

ثانياً: الكذب على الرأي العالمي.

ثالثاً: أسلوب الاتصالات، وتكوين العلاقات، والتواطيء وممارسة الضغوط بفضل «اللوبي». ومن شواهد الأول: التدمير والقتل والتهجير، ومن شواهد الثاني: أنهم خدعوا بها أشخاص كالكاتب والفيلسوف الاجتماعي الفرنسي «جان بول سارتر» الذي كنا في أيام شبابنا ولهين به وبأمثاله، فهذا الفيلسوف ألّف كتاباً قرأته قبل ثلاثين سنة كتب فيه شعب بلا أرض، وأرض بلا شعب» أي أن اليهود كانوا شعباً بلا أرض جاؤوا إلى فلسطين التي كانت أرضاً بلا شعب»[١].

ومن شواهد ذلك أيضاً طريقة عمل المجلات الأمريكية الإعلامية **«فالمجلات الأمريكية مثل مجلتي «التايمز» أو «نيوزويك» اللتين أراجعهما في بعض الأحيان، إذا وقعت أدنى حادثة لعائلة يهودية، تسارع إلى نشر صور وتفاصيل وعمر القتيل وتضخم مظلومية أطفاله، ولكنها لا تشير حتى بأدنى إشارة إلى مئات وآلاف المآسي والمصائب التي تحل بالشباب الفلسطينيين، والعوائل الفلسطينية، والأطفال الفلسطينيين، والنساء الفلسطينيات في داخل الأرض المحتلة وفي لبنان»**[٢].

---

(١) م. ن. ص ٢٣.

(٢) م. ن.

ومن شواهد الأساس الثالث هو قيام:

«هذا الأسلوب على مبدأ الاتصال والتفاوض مع السياسيين والمثقفين والكتّاب، والشعراء، واستمالتهم إلى جانبهم والتواطؤ معهم»[١].

ومن شواهد ذلك أيضاً:

١ ـ التأثير على قرارات الأمم المتحدة، وقبل ذلك على عصبة الأمم.

٢ ـ التأثير على قرارات الدول، كل دولة على انفراد.

٣ ـ التغلغل في صفوف جميع دول العالم، فيحركون شعباً ما للضغط على رئيسه الذي يغضبون عليه بعدما يضيّق هو بنفسه على شعبه حين كان مرضياً عنه من قبلهم، ويحركون رئيساً ما هو عميل لديهم ليضغط على ثوار شعبه، ويصورون شخصاً ما بطلاً ثورياً لينتخبه شعبه رئيساً له وهو من جلاوزتهم حقيقة وواقعاً، ويدفعون بجماعة ما ليضطرب الأمن في بلد ما، ويبنون مؤسسة، أو جامعة هنا وهناك لنشر ثقافة تخدم مصالحهم، أو ليربوا جيلاً يتماشى معهم، ويصدروا صحيفة ما ليؤثروا إعلامياً على هذا البلد أو ذاك، ويدعموا أديباً أو مفكراً ما ليشيعوا فكرة ما وهكذا يفعلون.

ويخلص الإمام الخامنئي دام ظله إلى القول بأن اغتصاب فلسطين

(١) م. ن. ص ٢٤.

تم بالإضافة إلى هذه الأسس الثلاثة من خلال عاملين مهمين آخرين هما:

الأول: وقوف القوى الأجنبية إلى جانب الصهاينة.

الثاني: تقصير الدول العربية.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«وهذه هي الأساليب الثلاثة التي استطاعوا بواسطتها الاستيلاء على هذا البلد، وفضلاً عن ذلك فقد وقفت القوى الأجنبية إلى جانبهم، وأهم تلك القوى هي بريطانيا والأمم المتحدة وقبل الأمم المتحدة عصبة الأمم... إضافة إلى أن الدول العربية قصرت بعض الشيء»[1].

ويستفاد مما سبق أن عدوان الصهيونية على فلسطين تمثل باغتصاب أرض فلسطين.



(١) م. ن.

ارتكاب المجازر والجرائم في فلسطين

مما يؤكد عدوانية الصهيونية، مضافاً إلى اغتصاب أرض فلسطين، ارتكاب المجازر والجرائم في فلسطين، فقد تمت عملية الإجرام من قبل الصهاينة في فلسطين بطرق مختلفة، ووسائل عديدة، وكانت نتاجات هذه الوسائل متعددة أيضاً، بدءاً من الضغوط النفسية والتعذيب وانتهاءً بالقتل.

وبالطبع فإن الهدف من تكثير المجازر سواءً كانت جماعية، أم فردية واضح تمام الوضوح، وهو باختصار:

«**تصفية القضية الفلسطينية ومحو جميع آثارها**»، بل إن الهدف أغور من ذلك وهو:

«**إزالة فلسطين من الخارطة الجغرافية**».

وإذا تمعّنا أكثر فإن الهدف هو تغيير معالم المنطقة بأكملها لصالح الصهيونية، ومن هنا ندرك جيداً المغزى من تعمد قتل الأطفال الفلسطينيين، وسحق أجسادهم بهدوء وروية، إذ أنه وبكل بساطة القضاء على مستقبل فلسطين التحرري والثوري، فلا شك بأن عملية قتل الأطفال تتم بطريقة مدروسة ومنتظمة.

إن الصهيونية تعمل على تكثير الجرائم والمجازر بكل أشكالها

داخل فلسطين بواسطة حيل ماكرة، ومع أنها مكشوفة ومفضوحة إلى حد كبير، إلا أن هناك من لا يعرف بوجود هكذا جرائم ومجازر، والحيل الصهيونية التي تعتمد تتمثل بالآتي:

الأول: أن إرتكاب الجرائم يأتي بالتدرج والتقسيط، تماماً كدخول الصهاينة إلى فلسطين غصباً بالتدريج.

الثاني: كسب تأييد الرأي العالمي من خلال:

أ ـ تشويه الحقائق وإخفاء معالم الجريمة عبر الإعلام، وفي الميدان.

ب ـ تضخيم وتشنيع الأفعال الفلسطينية المقاومة والمشروعة أمام الناس عبر الإعلام، وخصوصاً في العواصم الغربية.

ج ـ استباق الأحداث الإجرامية بمبررات واهية، وادعاءات كاذبة، كسباً للعطف والتأييد الغربي.

الثالث: إيهام الدول والشعوب بوجود طرفين صهيونيين:

أ ـ طرف متشدد: وأبرز أفراده «حزب الليكود» و«الحركات الدينية».

ب ـ طرف معتدل: كحزب العمل(١).

---

(١) وهذا قبل بروز حزب «كاديما» للساحة برغم أنه «حزب معتدل بالإدعاء»، إلا أنه شنّ حربين على لبنان وفلسطين عام ٢٠٠٦ ميلادي، وعام ٢٠٠٨ ميلادي، وارتكب مجازر فظيعة ومريعة.

وكلما ارتكبت جريمة أُحيلت على الطرف المتشدد، بينما ينبري الآخر المتوهم اعتداله، لتلميع صورة الصهيونية، وإظهارها بمظهر المسالم البريء.

لا ريب بأن الواقع يشهد وبكل بروز ووضوح، أنه لا يوجد طرف متشدد وآخر معتدل، بل الموجود هو بوتقة إجرامية إرهابية واحدة لا تتجزأ ولا تتفكك، وهي ذات طبيعة عدوانية صرفة، لا بل إن من وسم بالاعتدال زوراً أمعن في العدوان إمعاناً لا هوادة فيه، أكثر مما أمعن بذلك الطرف الموسوم بالتشدد.

وعوداً على بدء، فإن الجرائم الصهيونية بحق أبناء فلسطين، ترتكب لا بأسلوب واحد، بل بأساليب متعددة، وهي ترتكب بضوء أخضر أمريكي، وبحماية فيتو أمريكية، وبمعية الصمت الدولي، وبخيانة عربية، ومن هذه الأساليب:

أ ـ أسلوب علني بالقتل بدعوى محاربة «الإرهاب».

ب ـ أسلوب خفي بالقتل من خلال حوادث متفرقة وغامضة.

ج ـ أسلوب القتل الجماعي جراء اقتحام مدن ومخيمات كبرى بدعوى البحث عن المخربين، ومحاربتهم. . .

د ـ أسلوب القتل الفردي من خلال استهداف نشطاء، أو بدعوى استهداف نشطاء.

هـ ـ أسلوب القتل غير المباشر القائم على استخدام العملاء.

ومن الأساليب الباعثة على التعجب إنشاء محاكم عسكرية ومدنية

لمحاكمة الفلسطينيين في أرضهم.

وكل هذه الأساليب الإجرامية المؤدية إلى القتل، والسجن، والتهجير هي أساليب منظمة ومدروسة وليست عشوائية.

ولا شك بأن لهذه الأساليب هدفاً واحداً ذكرناه سابقاً وهو: «تصفية القضية الفلسطينية ودروسها بالكلية». فالمطلوب استفاقة الأجيال الفلسطينية في المستقبل على عالم جديد خالٍ من «فلسطين».

فالهدف إذن تصفية القضية الفلسطينية، على غِرار ما فعله أبناء العم سام في أمريكا بسكان الأرض الأصليين أي «الهنود الحمر»، حيث استفاق أجيال هؤلاء على عالم اسمه «أمريكا» وهو خال تماماً من وجود لهم.

ولكن الحقيقة تثبت أن تصفية القضية الفلسطينية هو وهم محض؛ «وقد توهموا نجاحهم في إنجاز تلك المهمة، فقد قتلوا طائفة وطردوا ثانية، وقمعوا أخرى، وتصوروا أن القضية انتهت»[(١)].

وقد يُظن للوهلة الأولى أن الصهيونية تنفرد بارتكاب الجرائم المقيتة داخل فلسطين، ولكن الصحيح أن أمريكا تشارك الصهيونية في هذه الجرائم، ولا تشاركها دعماً ومساندة فحسب، بل تشاركها باتخاذ قرار الجريمة ابتداءً.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله في هذا الصدد:

«من المُسَلم به أن الكيان الصهيوني لا ينفرد بارتكابه لهذه

---

(١) م. ن. عدد ٣٠٠، ص ٤.

الجرائم، فلا شك في مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية له في إجرامه، وأن كل من يعين هذا الظالم شريك له في إجرامه»[1].

هذا وقد ثبت وجود إعانات للصهيونية في ظلمها للشعب الفلسطيني، وتمثلت هذه الإعانات في كل من:

١ ـ المؤيدين للصهيونية: وهم أغلب الدول الغربية، وعلى رأسهم الجد المؤسس لإسرائيل «بريطانيا»، والأب الحامي لها «أمريكا».

٢ ـ المتقاعسين والمتخاذلين: وهم أغلب الأنظمة العربية.

٣ ـ الخونة من الزعماء العرب: والخيانة البارزة تلك التي ظهرت جرّاء تبني تلك المهزلة التي يطلقون عليها اسم «عملية السلام»، والتي تمت من خلالها أكبر صفقة خيانية تمثلت ببيع أقدس أرض بثمن بخس لا يرضى به تاجر ساذج فضلاً عن سياسي محنك.

فلا ريب أن الخيانة التي يرتكبها الذين يمارسون هذا العمل (المساومة) باسم الفلسطينيين، اسوأ وأشنع وأنكى من جميع الخيانات التي اقترفت ضد الفلسطينيين حتى يومنا هذا»[2].

ولا شك بأن أبرز شريك ومعين لفعل الجريمة الصهيونية، هي أمريكا، حيث أنها تساند إسرائيل بشكل تام، ومن جميع النواحي

---

(١) م. ن. ص ٦.

(٢) م. ن. عدد ٢٧١ ص ١٨.

اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، ويكفي بأن أمريكا هي سبب وجود إسرائيل واستمرارها.

وإن أهم معونة أمريكية للصهيونية على الإطلاق تتمثل بربط رضاها وسخطها برضى إسرائيل وسخطها، الأمر الذي يستدعي كل طرف يبتغي التعاون مع أمريكا ـ وهم كثر ـ أن يضع بحسبانه الأصطفاف مع إسرائيل، ومن هنا ندرك مغزى تلهف بعض الدول العربية البعيدة عن دائرة الصراع المباشر، لمد جسور العلائق المتعددة مع إسرائيل، فإن هذه تقوم بذلك لعلاقتها مع أمريكا، وكي لا تغضب أمريكا، كما أن المعونة الأمريكية المهمة للصهيونية تتمثل بالفيتو الأمريكي، والذي لا يعرف الكلل والملل، ولا الإحراج في سبيل انقاذ الصهيونية من براثن الإدانة، هذه الإدانة في حال تماميتها فإنها لا ترجع روحاً فلسطينية، ولا تخلص أسيراً، ولا تسمن ولا تغني من جوع.

وعلى هذا الأساس فإن أمريكا هي وراء كل جريمة ترتكب في فلسطين، لأنها بدعمها الجلي لإسرائيل تشجعها على ارتكاب المزيد من الجرائم من جهة، وتبعث في روعها الطمأنينة على كل عمل إجرامي قامت به من جهة ثانية، ونحن إذا أمعنا النظر في المعونة الأمريكية لإسرائيل، فإننا نجد الآتي:

أ ـ إن القرار المتخذ لارتكاب الجريمة، هو قرار مشترك بين أمريكا وإسرائيل.

ب ـ إن أدوات الجريمة أمريكية محضة.

ج ـ أن الهدف من ارتكاب الجرائم تتفق عليه كل من أمريكا وإسرائيل.

د ـ إن التغطية الدولية والإعلامية لصالح الجرائم والمجازر الإسرائيلية، هي تغطية أمريكية بامتياز.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«ولا شك أن السبب الرئيسي الكامن وراء هذا التمادي، هو الدعم الأمريكي، أي أن قسطاً كبيراً من آثام الصهاينة، يُلقى على عاتق أمريكا، اعلموا أن مجلس الأمن، أصدر طوال الخمسين سنة التي ظهر فيها الكيان الصهيوني، تسعة وعشرين قراراً ضد إسرائيل، وقد استخدمت أمريكا حق النقض (الفيتو) إزاء كل تلك القرارات التسعة والعشرين، أما في الوقت الحاضر، فهي لا تسمح منذ حوالي عشر سنوات ـ أي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي السابق ـ بصدور أي قرار من مجلس الأمن ضد إسرائيل، إذا فإثم كل الجرائم يقع على عاتق أمريكا، فأمريكا التي تتظاهر بمظهر المحب للسلام، وتبدي لجميع الشعوب ـ ومنها شعبنا الشريف المظلوم ـ ابتسامات مسمومة، هي المجرم الأول في القضية الفلسطينية، وإحدى جرائمها هي أن يديها ملطختان حتى المرفق بدماء الفلسطينيين[١]».

إن من المثيرللإستهجان الآن، أن تحشد أمريكا كل حشودها لغزو العراق، وبالفعل فقد غزت العراق واحتلته بحجة امتلاك النظام

---

(١) م. ن. ص ٢٩.

العراقي للسلاح النووي، أو عزمه على امتلاك قنبلة ذرية، والملفت أن دعوى وجود سلاح نووي كانت كاذبة وملفقة.

وأمريكا إذ تحتل العراق بتهمة نووية، تتغافل عن وجود ترسانة نووية جاهزة لدى إسرائيل، علماً بأن إسرائيل ليست فقط هي عامل تهديد للمنطقة، بل هي عامل إجرامي مجرب، خبرته الشعوب العربية والإسلامية، وذاقت مرارات إرهابه وبطشه.

ولقد ثبت أن نظام صدام حسين ـ الفأر المبلل ـ لم يشكل تهديداً، لا لأمريكا ولا لإسرائيل، بل كان تهديده لشعبه فقط حيث انهكه قتلاً، وسجناً، وتعذيباً، وفقراً وتهجيراً، وحيث أن قتل أكابر الشخصيات العلمية كان أهون عنده من قتل ذبابة.

وبالطبع فإن أمريكا لا تهتز لقتل الشعب العراقي، أو لقتل أحد مراجع الإسلام، بل تهتز فعلاً عندما لا ينفذ ذاك الفأر صدام حسين أوامرها، وعندما يحترق خزان نفط في العراق، وللأسف الشديد فإن بعض المسلمين العرب هبوا جميعاً لنصرة صدام حسين ظناً منهم أنه بطل العروبة، وإذ به في نهاية المطاف يستجدي حياته من الجنود الأمريكيين بكل ذل ومهانة.

وليعلم بأن أمريكا قامت بدعم صدام حسين ونظامه الإجرامي على محاور ثلاثة:

الأول: بوجه الشعب العراقي، وخصوصاً العلماء الأحرار حيث أقدم صدام حسين على قتل وتصفية مراجع الإسلام في النجف الأشرف، في حين كان العرب في صمت تام، وكانت الفئة التكفيرية لا

تهتم للعراق وأهله، بل كانت غارقة في خدمة المشروع الأمريكي في دول الاتحاد السوفياتي السابق، وبعد زوال نظام صدام أتى هؤلاء لإكمال ما كان يقوم به صدام حسين بوجه مراجع الإسلام، فأقدموا على اغتيال الشهيد السعيد السيد محمد باقر الحكيم قدس سره، وعلى قتل جملة من ممثلي الإمام السيستاني دام ظله.

والسؤال المطروح الآن: هل نصيب أبناء النجف وكربلاء القتل على الدوام، بوجود أمريكا وبعدم وجودها؟؟ وهل يحرم عليهم التكلم عن مصائبهم التي يلاقونها جراء تلك الفتنة الطائفية البغيضة؟؟! وهل يريد بعض أبناء العراق أن يستنسخوا صداماً آخر حتى يعيد الكرّة في قتل مراجع الإسلام في النجف الإشرف لترتاح أجهزة الإعلام العربية، والأنظمة العربية؟!!!

ثم أن هؤلاء الذين يدعون الجهاد ضد الكفرة حسب زعمهم، لماذا لم يعلنوا الجهاد ضد صدام حسين وهم يعلمون أن كل حركة وسكون له إنما تتم بأمر أمريكي؟!! ولماذا لا يعلنون الجهاد ضد ملك الأردن الذي يسهر على أمن إسرائيل أكثر من الصهاينة؟؟ لماذا لا يوجد كفرة إلا في العراق فقط؟؟

وبالجملة فإن أمريكا كانت تدعم صدام ضد شعبه، بل حتى في أوقات الحنق الأمريكي على صدام، هي عملت على دعمه بوجه الانتفاضة الشعبانية، وكان العرب في غاية السرور عندما كان صدام حسين يهدد إسرائيل بالقصف الصاروخي، ولكننا كنا نتفاجىء كيف كان صدام حسين وفي لحظة تهديده لإسرائيل يعمل على قتل علماء

النجف الأشرف!!! فهو يهدد إسرائيل وينفذ تهديده من خلال قتل أعداء إسرائيل إلا وهم مراجع الإسلام في النجف.

الثاني: ضد الجمهورية الإسلامية في إيران، حيث زودته أمريكا بالأسلحة الفتاكة لاستخدامها بوجه الجمهورية الإسلامية، وقد بات من المعلوم أن أمريكا كانت تزود صدام حسين بالأسلحة الكيميائية بشرط أن يستخدمها بوجه الجمهورية الإسلامية، ولقد سمعنا بأن أمريكا اتهمت صدام حسين بأنه لم يستخدم كل الأسلحة الكيميائية ضد الجمهورية الإسلامية، وبقي منها عدداً معدوداً، ومن هنا نشأ الخلاف مع صدام حسين، ولكن بعد حين تبين أنه استخدم كل الأسلحة ضد المسلمين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكان مجتهداً في ذلك جداً، ويصح لأمريكا مناداته بـ«الشاطر»، وبالخادم المطيع، بيد أنها اعطته جائزة كبيرة لقاء خدماته لها، وهذه الجائزة هي قتل ولديه أولاً، وإظهاره بمظهر الديكتاتوري الخائن لأمته وشعبه أمام العالم.

نعم بعض السذج من العرب والمسلمين الذين تعودوا أن يحلفوا بحياة الحاكم، وأن يرفعوا صور الحاكم يظنون به خيراً، لماذا؟

بكل بساطة لأنه قتل أكثر من ٤ مليون مسلم عراقي، واستنزف طاقات العرب والمسلمين، وبقي وفياً لأمريكا وكذا لإسرائيل طوال حياته وإلى آخر لحظة.

فهنيئاً لبعض هؤلاء العرب بقائد تاريخي اسمه صدام حسين؟؟ وهنيئاً لهم بقتل أكثر من ٤ مليون مسلم عراقي!! وهنيئاً لهم بشلّ قدرات العرب والمسلمين!!!

الثالث: ضد دولة الكويت، حيث أن صدام حسين اقتحم دولة الكويت واحتلها بإيعاز من أمريكا، لتكرس وجودها المباشر في الخليج، والكل يعلم دور السفيرة الأميركية في العراق في إعطاء ضوء أخضر أمريكي لصدام في الهجوم على الكويت، والكل يعلم أن أمريكا علمت مسبقاً بأن صدام حسين قد حشد جيشه بمحاذاة الكويت للقيام بعمل احتلال بعدما أستنفذت قدرات العراق المالية، واستحكمت فيه الديون الخارجية، والآن وبعد انتهاء مأمورية صدام حسين في خدمة أمريكا والصهيونية، أُسدلت ستارة حكمه عن مسرح الأحداث من قبل أمريكا، وزالت كل التزاييف العملية ليسفر الصبح عن اخطبوط سافر هو «الاحتلال الأمريكي»، وليتها أمريكا تخلصنا من كل الأنظمة العميلة والتابعة لها، لتأتي إلينا بصورة مباشرة، لتأخذ مواجهتها العسكرية لها صورتها العادلة، وعلى الأقل هي تريحنا من صورة ذاك الرجل العربي الذي انطلت عليه أكاذيب وأراجيف حاكمه فراح يحلف بحياة الحاكم ويردد له سمفونية معروفة من قبيل «يحيا الحاكم» و«يعيش الحاكم»، و«بالدم بالروح نفديك» وما شاكل.

وبصورة عامة فإن النظام العراقي لم يكن ليشكل يوماً تهديداً لأمريكا ولا لإسرائيل، بل على العكس من ذلك فقد هدد إسرائيل وعمّد تهديده باحتلال الكويت بحجة أنها عميلة للصهيونية، وأنها تشن عليه حرباً اقتصادية، وأنها جزء من العراق وتسمى «كاظمية»، وكذلك أقنع الأمريكان بأنه حليف لأمريكا، وهذا ما أكده صدام حسين للسفيرة الأمريكية في العراق «غلاسي»، والقائم بالأعمال الأمريكية «جوزيف ولسون».

وقد قامت أمريكا بتطيير النظام العراقي بحجة أنه يشكل تهديداً لأمريكا، وللعالم، بينما لم تقم بذلك العمل مع إسرائيل مع علمها بأنها تشكل تهديداً للسلام العالمي لخصائص عدة منها:

أ ـ أنها تحمل هدفاً استعمارياً توسعياً تعمل على تحقيقه، ويكفي أن نفس وجودها إنما هو خطوة من هذا الهدف.

ب ـ أنها بمبادئها الدينية، وأدبياتها الفكرية لا تعر أي اهتمام للقتل والتدمير، والأسر، والإرهاب، «والذي يدعو للسخرية أن إحصاءً شعبياً أمريكياً أُجري في شهر آب ٢٠٠٢ رأى أن ما يقوم به رئيس الوزراء الإسرائيلي آريال شارون من قتل وإبادة وتدمير واسع في الأراضي الفلسطينية أمر مشروع وضروري وأنّ قتل الأطفال حالة استثنائية من أجل حكم ديمقراطي في الشرق الأوسط غير الديمقراطي»[١].

وهذا يعني بأن الإعلام الصهيوني متجذر في أمريكا، وله تأثير كبير على الشعب الأمريكي، والسؤال الذي يجدر طرحه هنا هو: إذا كان الشعب الأمريكي بالغالب يبرر الجريمة الصهيونية، فكيف بالفكر الصهيوني؟!!!

ج ـ إن الصهيونية لم تصرح بأنها تستهدف السيطرة على المنطقة بكل خيراتها ومقدراتها فحسب، ولم تكتف بالقول بتفوق الجنس البشري الإسرائيلي على كل من دونه، وبالتالي بعدم وجود أهمية لسائر البشر حتى لو أدى ذلك إلى قتلهم وإبادتهم، بل هي عمّدت ذلك،

---

(١) سقوط بغداد، ص ١٦٥.

وفعلت الأفاعيل قتلاً وتدميراً، وتهجيراً، واحتلالاً، وترويعاً.

د ـ أن الصهيونية هي سبب كل مشكلة تحدث في الشرق الأوسط، بل في العالم، وإذا ما أزيل هذا السبب حل السلام بلا أي ريب، وأدل دليل على ذلك هو السلام الدائم الذي كانت تنعم به هذه المنطقة قبل دخول الأجنبي عليها.

وصفوة القول أن أمريكا تشكل دعماً هائلاً لإسرائيل، مع أنها تستحق كل عقوبة، يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«أما من الجانب الأمني، فإن إسرائيل تشكل تهديداً أمنياً ليس لشعبها فحسب، بل لكل المنطقة وذلك لأنها تملك في الوقت الحاضر ترسانة نووية، وهي لا زالت عاكفة على إنتاج هذا السلاح، وقد وجهت لها منظمة الأمم المتحدة تحذيرات عديدة، ولكنها لم تعرها أي اهتمام، ولا شك أن السبب الأساسي الكامن وراء هذا التمادي هو الدعم الأمريكي»[(١)].

ومن دون أدنى شك فإن الهجوم الإعلامي العالمي، والدعايات الغربية تتركز على قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية ببناء مفاعل نووي لأغراض سلمية، وهذا الهجوم وهذه الدعايات تتغافل وتتجاهل الترسانة النووية الإسرائيلية المنتجة لأغراض حربية محضة، والأمم المتحدة صارخة تجاه الأولى، وخرساء إتجاه الثانية مع أن الفارق عظيم، الأمر الذي حدا بإحدى الفضائيات أن تعلق على محمد

---

(١) سلسلة في رحاب الولاية، عدد ٢٧١، ص ٢٨ ـ ٢٩.

البرادعي الذي زار كل من إيران وإسرائيل بالقول: إن محمد البرادعي في إيران غيره في إسرائيل، في إشارة واضحة للضغط الهائل الذي تمارسه وكالة الطاقة الذرية بوجه الجمهورية الإسلامية، وإلى التساهل والتجاهل الواضح الذي تبديه مع إسرائيل.

وللأسف الشديد فإن الأنظمة العربية، وبدلاً من أن تحسب للخطر الإسرائيلي ألف حساب، فإنها وبإيعاز أمريكي توجه للشعوب العربية خطاباً مركزياً مفاده:

أن الخطر الوحيد على الأمة العربية هو الخطر الإيراني!! بل أكثر من ذلك فإن الملك الأردني وحرصاً منه على سلامة أمن إسرائيل، فإنه وجه إلى إسرائيل تحذيرياً لا ضدها بل لأجلها، وهذا التحذير من قبله لإسرائيل كان من إيران الإسلامية، والمقاومة الإسلامية في لبنان!!

وبمعزل عن هذا فإن الجرائم الصهيونية المرتكبة في فلسطين بتأسيس أمريكي بريطاني، وبدعم جلي منهما، والتي تكشف عن طبيعة العدوان عند الصهيونية، هي تعبير عن:

١ ـ الظلم المرير:

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«أما من الوجهة الإنسانية، فإن مظلومية العوائل الفلسطينية تلقي على كل كاهل إنسان واجباً، فالظلم الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني في داخل فلسطين... ظلم مرير»[١].

---

(١) م. ن. ص ٢٨.

٢ ـ تشريد وقهر وقمع:

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«هناك ثمانية ملايين، بعضهم مشردون وبعضهم الآخر يعيشون في ظل الإحتلال ظروفاً أسوأ من ظروف المشردين، ولا يستطيعون ممارسة حياتهم اليومية بشكل طبيعي، ولا يُسمح لهم بالإدلاء بآرائهم، ولا يحق لهم انتخاب ممثل عنهم لإدارة شؤون بلدهم، وفي الكثير من الحالات يُمنعون من أداء صلاتهم»[١].

ولا ريب بأن المدقق في ظروف الشعب الفلسطيني، فإنه لا يخفى عليه تقسيم هذا الشعب بحسب ظروف الاحتلال إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عرب الـ ٤٨: وهم الذين كانوا عرضة للاحتلال الصهيوني عام ١٩٤٨.

القسم الثاني: عرب الـ ٦٧. وهم الذين كانوا عرضة للاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧.

القسم الثالث: الفلسطينيون العرب من غير هؤلاء، وهم على قسمين:

الأول: قسم ما زال داخل فلسطين يعيش أسوأ الظروف، ويمتلك إرادة مقاومة لا نظير لها.

الثاني: قسم مشرد خارج فلسطين، أكثره يعيش حالة معيشية سيئة ضمن مخيمات بائسة.

---

(١) م. ن. ص ٢٧.

والاعتقاد الصحيح، والقول الصريح، أنهم جميعاً شعب واحد، له وطن واحد، وهوية واحدة، وانتماء واحد، ولكنها ظروف الاحتلال قسمتهم تقسيماً مكانياً لا حقيقياً.

ولقد قهرت إسرائيل كلاً من عرب الـ ٤٨، وعرب الـ ٦٧، وحاولت تهوديهما، وإخراجهما عن دائرة الصراع ولكنها فشلت، ومن ثم عملت على تشريد وتهجير الباقين إلى الخارج، فإنه «يوجد بين أربعة إلى خمسة ملايين فلسطيني مشردين خارج أرضهم وحوالي ثلاثة ملايين يعيشون داخل الأراضي المحتلة»[١].

وتحاول إسرائيل جادة بأن تبقي الفلسطينيين في الشتات بغية توطينهم في مناطق وبلدان الشتات، هذا وقد عمل الصهاينة على إخراج الفلسطينيين من أرضهم عبر:

أ ـ الضغط والإرهاب والقسوة.

ب ـ القتل والضرب والتعذيب.

وبمعنى آخر عبر الإجرام المعنوي والمادي.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«وما أن أصبحت تلك الأراضي ملكاً لهم، حتى عملوا تدريجياً على إخراج المزارعين منها، بأساليب وحشية قاسية، كالضرب والقتل[٢].

---

(١) م. ن. ص ١٩.

(٢) م. ن. ص ٢٢.

إن الكيان الصهيوني وإمعاناً منه في التشريد والقمع والقهر، أوهم العالم بأسره بأنه يرغب بإقامة سلام مع العرب وبالأخص الفلسطينيين، فاختار مجموعة من الفلسطينيين ليتفاوض معهم، لا تفاوضاً ندياً من قبيل «المفاوض المستقل» لـ«المفاوض المستقل»، بل ليملي عليهم إملاء «السيد لعبده»، وفي الوقت الذي يستخدم فيه هذه الجهة ضد الشعب الفلسطيني، يمعن في ارتكاب الجرائم ضد الجهات الفلسطينية الأخرى، فيكون قد حقق بذلك عدة أهداف:

الهدف الأول: بث الفرقة والخلاف بين أبناء الشعب الفلسطيني الواحد.

الهدف الثاني: إيجاد أطراف فلسطينيين معه في الداخل، يحقق له أكثر من مكسب:

المكسب الأول: إيهام الرأي العام العالمي بأنه محب للسلام، بدليل جلوسه مع هذه الجهة الفلسطينية على طاولة المفاوضات، بدعوى أنها الممثل الشرعي والرسمي للشعب الفلسطيني.

المكسب الثاني: استخدامهم لقمع الانتفاضة الفلسطينية.

«وقد كتب كاتب فلسطيني أن جماعة عرفات لم تتمكن إلى الآن من جمع القمامة من شوارع مدينة غزة، لكنهم استطاعوا خلال هذه المدة، إيجاد خمسة أجهزة أمنية ومخابراتية، أخذت تمارس نشاطها في التجسس على أبناء الشعب»[١].

---

(١) م. ن. ص ١٨ ـ ١٩.

الهدف الثالث: ضرب الجهات الفلسطينية الأخرى، وذلك لأن الرأي العام العالمي صار يقول بأن الجهات الفلسطينية الأخرى تعمل لضرب عملية السلام، والطرف المفاوض لإسرائيل صار ينظر إلى الجهات الفلسطينية المقاومة على أساس أنها في عملية صراع مع إسرائيل، وبالتالي فهو لا دخل له به يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«غير أن العدو الذي تلقى كل هذا الدعم الخارجي يستطيع بث بذور الاختلاف والفرقة بواسطة أساليب الجاسوسية وغيرها من الأساليب الأخرى، وهذا هو ما فعله تماماً، فهو يقترب من جهة ويضرب الجهة الأخرى، وينكّل بجهة ثالثة، ويغير على جهة رابعة»[١].

٣ ـ القتل:

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«وقتلوا أُناساً لم يقوموا بأي عمل ضدهم»[٢].

وليعلم أنه قلما يمر يوم من أيام السنة على الفلسطينيين، إلا ويكون لاسم شهيد، أو شهيدين أو أكثر، فالقتل في فلسطين مظهر يومي غير مستغرب، بل الغريب عدم ذلك، فقد أَلِف الشعب الفلسطيني لغة القتل الصهيوني.

على أن القتل الصهيوني في فلسطين، يتخذ أشكالاً ثلاثةً:

الشكل الأول: قتل الأفراد، حيث أن الصهاينة يقتلون الأفراد

---

(١) م. ن. ص ٢١.

(٢) م. ن. ص ١٦.

مهما أمكنهم ذلك، وكلما اتيحت لهم فرصة ميدانية أو خارجية.

وبالحقيقة فإن قتل الأفراد أمر طبيعي جداً عند الصهاينة، لأنه يمر ببساطة وبسهولة، بل أن هذا الأمر أضحى عادياً عند الرأي العام العالمي، ولا يسبب أدنى أزعاج لدى أي أحد، بينما نرى في المقابل ماذا جرى مع السفيرة الأمريكية في بغداد «غلاسي» حيث أن بوش أجّل حربه على العراق من أجل إرسال أول طائرة تقل كلبها الخاص، وكان كلبها الخاص أول المسافرين(١).

ونحن لا يهمنا اهتمام الأميركيين بالكلاب ولا بالخنازير، ولا نريد منهم أن يهتموا بنا بقدرهم، بل كل ما نريده منهم هو عدم الإعتداء علينا، فليهتموا بكلابهم وخنازيرهم إلى أبعد الحدود، حتى إلى حد الإيثار والشراكة، ولكن ليتركونا وشأننا!!!

الشكل الثاني: قتل الجماعات دون حد المجازر: حيث يقتلون في كل وجبة إجرامية ثلاثة وما فوق.

الشكل الثالث: ارتكاب المجازر: حيث أن الصهاينة وكما في لبنان ربطوا أنفسهم بالمجازر الجماعية في فلسطين، كما في مجزرة «دير ياسين»، و«الأقصى»، و«الحرم الإبراهيمي» و«جنين» وغيرها.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«فالصهاينة حينما دخلوا لبنان ارتكبوا فيه المجازر، وهكذا فعلوا

---

(١) سقوط بغداد، ص ١٤٧.

أيضاً في دير ياسين وغيرها من الأماكن الأخرى»[١].

٤ ـ السجن والتعذيب:

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«الشعب الفلسطيني اليوم، هو أولئك المعتقلون في سجون الكيان الغاصب»[٢].

وبالحقيقة فإن الفلسطينيين وبسبب الاحتلال، هم يعيشون في سجون ثلاثة:

السجن الأول: هو السجن الإسرائيلي المباشر.

السجن الثاني: هو سجن عدم الحرية في فلسطين، حيث يعيش أبناء فلسطين، في داخل فلسطين في إطار ذل يومي جراء الاحتلال الإسرائيلي.

السجن الثالث: هو سجن المخيمات الفلسطينية في الشتات، حيث يعيش أبناء فلسطين في الخارج سجناً فعلياً داخل أحزمة البؤس الفعلية.

وعلى كل حال فإن كون الفلسطينيين ممن زجّوا داخل السجون والزنازين الصهيونية يعني بالضرورة ممارسة التعذيب الشديد بحقهم.

---

(١) سلسلة في رحاب الولاية، عدد ٢٧١، ص ١٦.

(٢) م. ن. ص ٢١.

٥ ـ تدنيس المقدسات:

فلا يخفى أن للصهانية مزاعم دينية في فلسطين، وأخطرها بوجه مطلق تدمير «المسجد الأقصى»، وبناء هيكل سليمان على أنقاضه، وعلى هذا فالصهيونية تمتلك نوايا الإجرام من ناحية عقدية فكرية، وتطبق هذه النوايا عملياً من خلال تدنيسها للمقدسات الإسلامية.

ولعله ـ بل هو المتعين ـ من الأسباب التي أدّت إلى إشعال الانتفاضة الفلسطينية، هو استهداف المقدسات الإسلامية في فلسطين بشكل مباشر من قبل الصهاينة.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«إن الشرارة التي فجرت غضب الشعب الفلسطيني، هي تدنيس الصهاينة للأقصى».

إن المؤامرة على المقدسات الإسلامية في فلسطين، وبالأخص على المسجد الأقصى فظيعة للغاية، وسبب هذه الفظاعة يعود إلى أمرين اثنين:

الأول: أن هذا الأمر من جملة المزاعم الدينية، ومستبطن في العقيدة عند هؤلاء.

الثاني: أن الصهاينة هم في سير حثيث نحو هذا العمل، ويمارسون هذا المخطط بشكل يومي تمهيداً لتنفيذه كاملاً بعد حين.

ومن جملة ما يقومون به لايهام الرأي العالمي بأن هناك ثمة فرق بين الحكومة الإسرائيلية وبين المتطرفين، فهم يحاولون هدم المسجد

الأقصى، والحكومة تمنعهم، وكم سمعنا تحذيرات مخادعة من قبل الحكومة الصهيونية التي تحذر من قيام المتطرفين الصهاينة بعملية هدم للمسجد الأقصى، ولا شك بأن هذا الهدف يشترك فيه كل من الحكومة والمتطرفين، ولكن الحكومة تفعل ذلك إما لعدم التوقيت المناسب، وإما لأجل أن أصحاب التطرف إذا قاموا بهدم المسجد الأقصى، فإن الدولة العبرية تحيل المسؤولية عليهم.

ولكن حتى هذه الإيهامات لم تمنع من الاعتداء على المسجد الأقصى، حيث قام الصهاينة بأكثر من مائة اعتداء على المسجد الأقصى، ففي عام (١٩٦٧) قاد (شلوموغورين) عدداً من المستوطنين إلى المسجد الأقصى لاحتلاله، وفي عام (١٩٦٩) تم إحراق جزء من المسجد الأقصى، وفي نهاية هذه الأعوام قام شارون الإرهابي المعروف بزيارة استفزازية للأقصى أدت إلى اشتعال انتفاضة كبرى.

ومما لا شك فيه بأن الغاية من تدنيس المقدسات الإسلامية في فلسطين هي تغيير الطابع الإسلامي ومحوه، والعمل على تهويد القدس وفلسطين.

ولهذا السبب تصافقت الصهيونية المسيحية مع الصهاينة في فلسطين على تدمير المسجد الأقصى بعد حين.

ذلك أن مسيحي بريطانيا وأمريكا وغيرها من الدول، والذين يعرفون «بالبروتستانت» والذين يؤمنون بالنص الحرفي للكتاب المقدس، هم يؤمنون بعودة المسيح الثانية، تلك العودة التي تسبقها فيما يزعمون «قيام دولة يهودية».

فهذا (أوليفر كرمويل) راعي الكومنولث البريطاني عمّم دعوته إلى تهويد فلسطين كمقدمة لعودة المسيح، وهذا هو القس الألماني (بول فليجن هوفر) ألّف كتاباً ادعى فيه أن من الأمور الملازمة لظهور المسيح الثاني هو عودة اليهود إلى بلدهم، وهذا (اللورد أنطوني أسلي كوبر) الإنكليزي، خلص إلى ضرورة وجود اليهود في فلسطين وضرورة دعمهم دعماً كاملاً حتى تحقيق خلاص المسيحيين.

إن المسيحية الصهيونية جماعة ترى أن قيام دولة إسرائيل سيعقبها معركة طاغية وضروس بين الكفار ـ أي من هو ليس منهم مسلماً كان أم مسيحياً ـ واليهود، وترى أنه ينتج عن هذه المعركة هلاك كل من لا يؤمن بعودة المسيح الثانية، وعندها يحكم المسيح العالم.

ومن عقائد المسيحية الصهيونية:

أولاً: عودة المسيح الثانية.

ثانياً: عودة اليهود إلى فلسطين.

ثالثاً: بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى.

رابعاً: حرب طاحنة بين اليهود وخصومهم، ويقود الحرب رجل ديكتاتوري سيء.

خامساً: تحول قسم من اليهود إلى المسيحية المؤمنة بعودة المسيح الثانية.

سادساً: حصول معركة (هر مجيدون النووية).

سابعاً: تحقق وفعلية حكومة المسيح العالمية.

ولأجل هذه الاعتقادات وغيرها ترى (المسيحية الصهيونية) ضرورة مساعدة اليهود على بناء دولتهم المزعومة في فلسطين المحتلة.

ومن هنا نفسر الدعم الكامل من قبل أمريكا وبريطانيا لليهود، حيث أن الدعم اللامحدود مطرد وملفت من قبل هذه الجبهة التي ما زالت ولم تزل تفعل ما بوسعها من أجل نصرة القضية الصهيونية حتى لو كان هذا الدعم ما يجري بغير صالحها، ولا غرابة في ذلك ولا عجب في ذلك سيما إذا عرفنا بأن بريطانيا وأمريكا هما من محور المسيحية الصهيونية.

وبناءً على ما تقدم نعلم بأن المسيحية المتصهينة تشكل الدعم، أما الصهاينة فيشكلون رأس الحربة، واليد المنفذة، ولهذا فإن العمل الدؤوب جارٍ من قبل الصهاينة بغية تغيير الطابع الإسلامي لفلسطين والمسجد الأقصى.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«وقد احرقوا في السنوات الماضية المسجد الأقصى، وهو أول قبلة للمسلمين، ثم أخذوا لاحقاً يحفرون أرضه، ويريدون أساساً تغيير طابعه الإسلامي»[1].

٦ ـ الاعتداء المطلق: يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«إن مظاهر البطش والعنف والإرهاب والاحتلال والتوسع، المشاهدة اليوم بوضوح في ممارسات الصهاينة، كانت متوقعة منذ

(١) م. ن. ص ٢٧.

البداية تماماً لكل ذو بصيرة، ولكل المخلصين في المجتمعات الإسلامية»[(١)].

«وإن احتلال فلسطين، واحد من أركان التآمر الشيطاني الذي عمدت إليه قوى الهيمنة العالمية، ممثلة ببريطانيا سابقاً، وأمريكا حالياً، لإنهاك العالم الإسلامي وتمزيق صفوفه»[(٢)].

وهذا الاحتلال الصهيوني لفلسطين يبرهن على أن «دويلة الصهاينة الغاصبة الخادعة، قامت أساساً على الاعتداء على الحقوق المحقة للشعب الفلسطيني، ولاقت دعماً من الحكومات الغربية وخاصة أمريكا، والمحافل الدولية أيضاً سعت ـ من خلال خلق المبررات لتصرفات الكيان الصهيوني ـ إلى أن تضفي شرعية هويته واعتداءاته»[(٣)].

وإلى هنا يكون قد تبين معنا بأن ارتكاب الجرائم والمجازر في فلسطين هو تعبير عن:

١ ـ الظلم المرير.

٢ ـ التشريد والقهر والقمع.

٣ ـ القتل.

٤ ـ السجن والتعذيب.

---

(١) م. ن. عدد ٣١٩، ص ٣.

(٢) م. ن. ص ٢.

(٣) م. ن. ص ٣.

٥ ـ تدنيس المقدسات.

٦ ـ الاعتداء المطلق.

***

محو فلسطين اسماً ومضموناً

لقد ثبت معنا أن الهدف الأساس للصهيونية هو إزالة فلسطين ومحوها، وإبدالها بدولة يهودية محضة، ولهذا تجهد الصهيونية ومن ورائها «أمريكا» للقضاء على كل من يعيق مخطط إزالة فلسطين ومحوها من الوجود، وبتعبير آخر «تصفية القضية الفلسطينية»، وإعدام مقولتها من أذهان المسلمين وممارساتهم.

فإذا ما اندرست قضية فلسطين من أذهان المسلمين، فعندها تأتي الأجيال المستقبلية وهي منسلخة كلياً عن فلسطين بكل تجلياتها، بل عن صورة فوتوغرافية حتى.

ومن اللافت جداً في القضية الفلسطينية هو هذا المسعى الجاد من قبل الصهاينة لتصفية القضية الفلسطينية، بل من الغريب المراهنة على ذلك من قبلهم بملاحظة:

أ ـ إن فلسطين هي قلب العالمين العربي والإسلامي.

ب ـ إن القدس هي رمز القداسة الإسلامية. وقبلة المسلمين الأولى.

ج ـ إن فلسطين محاطة بسور عظيم من الشعوب العربية والإسلامية.

د ـ إن الصهاينة قلة بلحاظ كثرة عدد المسلمين.

واللافت هنا في قضية الكثرة والعدد عدة نقاط:

النقطة الأولى: أن العدد الكامل للصهاينة على قلته يقاتل على جميع الصعد من أجل تحقيق أهداف الصهيونية، ومن هنا نعرف تلك الكذبة الكبيرة القائلة بأحادية المدنيين، إذ أن هناك أحد خيارين:

١ ـ أما أن تكون إسرائيل دولة ديمقراطية فهذا يعني أن الشعب الإسرائيلي يقبل بما تفعله الحكومة، وهذا يدل على عدم وجود مدنيين أحاديين.

٢ ـ وإما أن تكون إسرائيل دولة غير ديمقراطية، فهنا لماذا تريد أمريكا من الدول والشعوب العربية أن تحتذي حذو إسرائيل في الديمقراطية.

وعلى أي فلما أن القلة الصهيونية تقاتل من أجل إسرائيل، فإن الكثرة العربية والإسلامية لا تقاتل، والقلة التي تقاتل من العرب والمسلمين هي أقل ممن القلة الصهيونية، وهذه القلة العربية والإسلامية تقاتل وكأنها فئة هجينة، وغريبة في العالمين العربي والإسلامي.

النقطة الثانية: إن الكثرة الكاثرة من العرب والمسلمين تنقسم إلى قسمين:

١ ـ أولئك المتطرفين الذين انشغلوا عن مقاتلة أمريكا وإسرائيل بإعمال القتل بالمسلمين أنفسهم بحجة التكفير أو العمالة وما شاكل.

٢ ـ أولئك العرب والمسلمين الذين ينظرون لعدم جدوائية

المقاومة، والكفاح المسلح وما شاكل.

بقي من غير هذين القسمين ثلاثة أقسام:

١ ـ الأنظمة:

وهذه عيبها مما لا يخفى على أحد، حتى أن أحدهم وبدلاً من عمله كملك من الملوك صار يشتغل مؤخراً عميلاً استخبارياً للدولة العبرية.

٢ ـ الشعوب:

وهذه الشعوب تعيش في أسوأ منظومة قهرية واستعبادية من قبل الأنظمة المحلية والإقليمية الجائرة، من خلال قانون الطوارىء، وابتكار أساليب متطورة في بناء السجون والتعذيب مما حدا بأفراد إحدى الشعوب العربية والإسلامية إلى القول «كفاية» وهي عبارة تفي بالمقصود؛ نعم هناك تقصير واضح من قبل بعض الشعوب فمن العار مثلاً أن يتظاهر ثلاثمائة شخص أو ثلاثة الآف من أجل أكثر ممن سيعين مليون في ظل حرب تموز ٢٠٠٦م.

٣ ـ الفئات المقاومة:

وهذا كما نرى تتعرض لضغوط محلية، وإقليمية، ودولية.

ومن هذه الفئات المقاومة شعب حي اسمه الشعب الفلسطيني، وبعض شعب حي اسمه الشعب اللبناني لا كل اللبنانيين، واللبنانيون على ثلاث أقسام من ناحية المقاومة بوجه الصهيونية:

١ ـ قسم يمارس المقاومة ويؤيدها، وهو معظم الشعب اللبناني،

ويمثل الأكثرية الساحقة، وقد تحمل أعباء الاحتلال وأعباء المقاومة، وانتصر، وبدلاً من مكافئة على صنعه للانتصار نراه يُعاقب بالحرمان والإهمال.

٢ ـ قسم لم يمارس المقاومة، ولم يؤيدها، ولم يؤمن بها البتة، وكل ما فعله هذا القسم أنه تعامل مع الصهيونية تعاملاً لم يندم عليه إلى الآن بل جاهر به، بل إنه ما زال يتعامل مع الصهيونية من خلال عمله الدؤوب على نزع مكامن قوة المقاومة، وبعض هؤلاء وللأسف تسللوا إلى بعض المواقع اللبنانية المهمة.

٣ ـ قسم لم يمارس المقاومة ولكنه أيدها في أيام عزها ومنعتها، وفي ظروفها القاسية ابتعد عن تأييدها معلقاً عملية تأييدها بمكاسب سياسية، وبالعموم فهذا القسم ممن يأكل من مائدة المقاومة حينما تكون دسمة، وممن يزهد بها حينما تكون مائدة غيرها أدسم!!!

النقطة الثالثة:

لقد ثبت عملياً ومن خلال تجربة الصراع العربي الإسرائيلي، أن آفة الآفات عند العرب والمسلمين هي قضية التصفيق للحاكم والدعاء له بطول العمر.

ولو قُدّر للعرب والمسلمين إزالة ثقافة عبادة الحاكم والسلطان السيء وتنصيب الحاكم الكفؤ والجدير لما كان هناك أي عائق للانتصار على أعداء العرب والمسلمين، وكما نعلم فهذه ثقافة أموية اجترها أبناء الإسلام على مدى الأعوام والأيام.

هـ ـ إن الواجب الديني الإسلامي، يحتم على كل مسلم ضرورة

مواجهة العدو الغازي والمحتمل.

والواجب القومي العربي يحتم على كل عربي طرد المحتل ومقاومته، كما أن الواجب الوطني الفلسطيني يحتم على كل مواطن مقارعة المحتل وإخراجه من الوطن، وهذا كله فضلاً عن الواجب الإنساني المنوط بكل إنسان، والواجب المنوط بالهيئات والتجمعات الإنسانية والحقوقية والدولية في العالم.

فهناك واجبات عديدة اتجاه فلسطين:

١ ـ واجب إسلامي.

٢ ـ واجب عربي.

٣ ـ واجب وطني.

٤ ـ واجب إنساني.

٥ ـ واجب حقوقي أممي.

ولقد قام الشعب الفلسطيني بواجبه خير قيام، حيث قارع العدو الصهيوني وواجهه من خلال عاملين اثنين:

العامل الأول: دعمه للحركات المقاومة داخل فلسطين.

العامل الثاني: تعبيره الرافض للعدو، ولكل أشكال المساومة.

وهذا الشعب استطاع بجهاده ورفضه للعدوان، ومساندته لحركات المقاومة المسلحة، إبراز القضية الفلسطينية والحيلولة دون تصفيتها.

ولقد فوجىء الصهاينة بممانعة عرب الـ ٤٨ والـ ٦٧ من أبناء فلسطين، وهم من ظن الصهاينة سكونهم وذوبانهم في المشروع الصهيوني، أو خروجهم من ساحة القتال على أقل تقدير.

لقد وائم هؤلاء حركة التحرر الفلسطينية في قتالها ضد المحتل الصهيوني الغاصب.

إن الإمام الخامنئي دام ظله بوعيه المعهود هو الذي نبّه إلى هذه ا لنقاط الثلاث:

الأولى: قضية تصفية القضية الفلسطينية، وإزالتها من الخارطة الجغرافية، ومحو صورتها من الذاكرة الإسلامية والعربية.

الثاني: قضية الوسائل والأساليب التي تعتمدها الصهيونية من أجل تحقيق أهدافها المرسومة من خلال:

١ ـ استخدام أسلوب الشدة والقسوة.

٢ ـ الكذب على الرأي العام العالمي.

٣ ـ اللوبي الصهيوني الفعّال.

الثالثة: قضية استحالة تصفية القضية الفلسطينية، وإزالتها من الخارطة الجغرافية، وتغيير طابعها العربي والإسلامي، وذلك لأن القضية الفلسطينية غدت في عهدة جيل بكامله، وليست في عهدة أشخاص إذا ولّواولّت.

«فقد يتيسر قمع حزب ما، أو إخراج فئة ما من الساحة، وقد تتراجع طائفة من الناس عن جهادها، ومواقفها البطولية، بيد أنه من

غير الممكن ثني جيل بأكمله»[١].

ومن هذه النقاط الثلاث وجه الإمام الخامنئي دام ظله خطابه إلى الشعوب الإسلامية، ليعوا الخطر المحدق بهم أولاً، وليبطلوا كل الأساليب والوسائل المعمول بها وسيعمل بها ثانياً، ولتطمئن قلوبهم إلى عدم نجاح هذه المؤامرات الصهيونية ثالثاً.

وبالحقيقة فإن خطابه دام ظله يقوم على ركنين:

الركن الأول: الدعوة إلى تحمل المسؤوليات الجسام.

الركن الثاني: الأمل بالنصر والغلبة في نهاية المطاف.

إلا أن الأمل لن يتحقق إلا في ظل تشكيل جبهة عربية وإسلامية موحدة ضد العدو، وبالحق فإن الخطاب الباعث على الاطمئنان من قبله دام ظله، إنما جاء ليعكس الصورة المشرقة للإسلام على الواقع الخائب والمهزوم واليائس عند العرب والمسلمين والذين يتقلّبون من حرّ الهزيمة كما تتقلّب الأفعى من حرّ القيظ.

ولأجل إزالة علامات الخيبة، ونظرة التشاؤم، كان لا بد من هذا الخطاب التفاؤلي الباعث على الصحوة «والنهضة»، المنضم مع التحذير والاستعداد، ولتحمل كامل المسؤوليات مهما كانت جسيمة.

بقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«إنها حقيقة ما أراد السلطويون وأرباب السياسة وأرباب الثروة

---

(١) م. ن. عدد ٣٠٠، ص ٤.

في العالم، وفي غفلة من الزمن، من محو شعب بأكمله من الأرض، وإزالة بلد من الخارطة الجغرافية، وقد توهموا نجاحهم في إنجاز تلك المهمة، فقد قتلوا طائفة، وطردوا ثانية، وقمعوا أخرى، وتصوروا أن القضية انتهت.. لقد اخطأوا حينما توهموا فناء الشعب الفلسطيني وزوال فلسطين، ففلسطين باقية، والشعب الفلسطيني باق.. إنني لا أزعم أن قضية فلسطين ستنتهي على المدى القريب، بيد أنني أجزم بأنها ستعود إلى أهلها بلا أدنى شك، ربما يمتد بنا الزمن أو يقصر، وقد تتضاعف الخسائر وتزداد، غير أن هذا الأمر واقع لا محالة»[(١)].

«أرادوا محو اسم فلسطين من خريطة العالم، وحاولوا ايداع اسم فلسطين طي النسيان، واستهدفوا تذويب الشعب الفلسطيني في الشعوب الأخرى، واجتثاثة من جذوره، لكي لا يبقى هناك أي شيء باسم فلسطين، إلا أن ما حصل جاء على العكس مما كانوا يأملون»[(٢)].

«فهدف الصهاينة هو أن تصبح القضية الفلسطينية في إدراج النسيان، بحيث ينسى الناس أن قضية كهذه كان لها وجود في يوم ما، إلا أنكم بعملكم هذا لا تسمحون لهم بتحقيق هذا الهدف، ويوم القدس لا يسمح لهم بذلك، وإمامنا الإمام الخميني (قده) الراحل بحكمته وتدبيره، لا يسمح لهم بذلك، وهذا عمل كبير طبعاً»[(٣)].

«نحن على يقين بأن فلسطين ستُحرر بمواصلة الشعب الفلسطيني

---

(١) م. ن. ص ٤ ـ ٥.

(٢) م. ن. عدد ٢٢٦، ص ١٩.

(٣) م. ن. عدد ٢٧١، ص ٢٨.

لكفاحه، ودعم العالم الإسلامي، وستعود القدس والأقصى إلى حظيرة العالم الإسلامي بإذن الله (والله غالب على أمره)»[١].

ولقد نبّه الإمام الخامنئي دام ظله إلى مسألتين مهمتين:

الأولى: مشروع الإمام الخميني قدس سره:

حيث عبر دام ظله بأن الإمام الخميني قدس سره لا يسمح بأن يحقق الصهاينة هدفهم، وهذا بالحقيقة هو مشروع الإمام الخميني قدس سره، حيث إن الإمام الخميني «قده» قد قعّد الصراع مع الاستكبار العالمي وبالخصوص مع إسرائيل على قواعد سليمة ومتينة بدأها بتأسيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكرّسها بمبادىء عامة من الصعب الخروج عنها، أو التأول فيها، ومنها:

١ ـ اعتبار إسرائيل غدة سرطانية يجب اجتثاثها واقتلاعها من الجذور.

٢ ـ اعتبار إسرائيل ولد غير شرعي لأمريكا.

٣ ـ دعوة المسلمين للاتحاد بغية القضاء على إسرائيل.

٤ ـ تحريم التعامل مع إسرائيل، والقضاء على كل أشكال تقوية إسرائيل.

٥ ـ الدعوة إلى نصرة الشعب الفلسطيني المظلوم.

---

(١) م. ن. عدد ٣١٩، ص ١٥ ـ ١٦.

٦ ـ تأسيس المقاومة الإسلامية في لبنان لمحاربة العدو الصهيوني.

٧ ـ دعم كل ما يؤول ويؤوب إلى نصرة الإسلام ومحاربة أعداء الإسلام.

٨ ـ إعلان يوم القدس العالمي في آخر جمعة من شهر رمضان المبارك.

وفي وصيته المباركة أكد قدس سره على الفخر بالعداء لأمريكا وإسرائيل وبكل صراحة حيث قال قدس سره:

«وشعبنا بل الشعوب الإسلامية ومستضعفوا العالم فخورون بأن أعداءهم أعداء الله العظيم والقرآن الكريم والإسلام العزيز هم حيوانات مفترسة لا يتورعون عن إرتكاب أية جناية وخيانة لتحقيق أهدافهم المشؤومة والجانية، ولا يميزون ـ في طريق الوصول إلى الرئاسة ومطامعهم الدنيئة ـ بين العدو والصديق وعلى رأسهم أمريكا هذه الإرهابية ذاتاً، هذه الدولة التي أضرمت النار في جميع أرجاء العالم، وحليفتها الصهيونية العالمية التي ترتكب لتحقيق مطامعها جنايات تخجل الأقلام والألسنة عن كتابتها وذكرها... ويحملهم الخيال الأبله بإسرائيل الكبرى على ارتكاب أية جناية»[1].

فمشروع الإمام الخميني قدس سره يمنع إسرائيل من تحقيق أهدافها لأنه مشروع ثابت من جهة، ولأن امتداده الشعبي متجذر

---

(١) الوصية الخالدة للإمام الخميني «قده»، ص ١٥، طبعة الدار الإسلامية.

انطلاقاً من الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي ما زالت تواكبه، ومنها إلى باقي الدول والشعوب الإسلامية، والتي دعاها الإمام الخميني قدس سره إلى النهوض بوجه الظلمة بقوله:

«وأنتم يا مستضعفي العالم وأيتها الدول الإسلامية ومسلموا العالم، انهضوا وخذوا حقكم بقبضاتكم وأسنانكم ولا تخافوا الضجيج الإعلامي للقوى الكبرى وعملائها العبيد واطردوا من بلادكم الجناة الذين يسلمون حصيلة أتعابكم إلى أعدائكم وأعداء الإسلام العزيز ولتأخذ الطبقات المخلصة المتزمة بزمام الأمور واتحدوا جميعاً تحت راية الإسلام المجيدة وهبوا للدفاع في مقابل أعداء الإسلام ومحرومي العالم»[١].

ومن هنا نعلم بأن مشروع الإمام الخميني قدس سره صار متجذراً وليس حالة طارئة تزول برحيل صاحبها كما لا يخفى.

الثانية: يوم القدس العالمي:

فقد أعلن الإمام الخميني قدس سره يوم القدس العالمي لتكريس المواجهة مع أعداء فلسطين عملياً من خلال إحياء مراسم يوم القدس بالنزول إلى الساحات، وإحياء التظاهرات، وتجديد العهد لفلسطين والقدس كل عام.

هذا ومن بركات يوم القدس:

١ ـ إبقاء القضية الفلسطينية حية في النفوس والعقول.

---

(١) م. ن. ص ٧٥.

٢ ـ نشر التوعية للمسلمين من حيث إقامة الندوات والمؤتمرات.

٣ ـ تجديد العهد مع القضية الفلسطينية عاماً بعد عام.

٤ ـ بحث التدابير والسبل الآيلة إلى تحرير فلسطين.

٥ ـ إيقاظ الغافلين والنائمين عن قضية القدس.

وبالحقيقة فإن إعلان يوم القدس من قبل الإمام الراحل قدس سره هو خطوة من خطوات كرسها قدس سره بغية تحرير فلسطين وانشاء دولة المستضعفين العالمية.

وفي هذه اللحظات وأنا أكتب هذه السطور سمعت على إحدى الفضائيات محاوراً يتطرق إلى الكلام حول نظام طالبان في أفغانستان معتبراً إياه أفضل من النظام الإسلامي في إيران، وقد وافقه محاور آخر على هذا الكلام، وقد صعقت من هذا الكلام حيث أن الجميع يعلم من صنع نظام طالبان؟!! ومن أمده بالسلاح والمال؟!! ومن دعمه بوجه روسيا، ومن خلفه لمقاتلة الجمهورية الإسلامية الإيرانية؟!! ومن انتخبه لأجل قتل اتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، ولأجل احداث فتنة طائفية كبرى؟؟

والجميع يعلم بأن الجمهورية الإسلامية في إيران هي الدولة الوحيدة الواقفة بوجه أمريكا وإسرائيل، وهي الدولة الوحيدة الحاضنة لقضايا المسلمين الكبرى، وهي الدولة الوحيدة الداعمة لمقاومة الشعب الفلسطيني، أما ما قيل بأنها تهضم حق الأقلية السنية فهذا قول خادع وكاذب، إذ أن الجمهورية الإسلامية تدعم السنة خارج إيران بالمال والتدريب فكيف بأبناء الوطن؟!! عِلماً بأن لأهل السنة من

يمثلهم في الحكومة الإسلامية ولو سألناهم عن وضعهم داخل إيران لقالوا لنا: شكراً للجمهورية الإسلامية الإيرانية على هذا الاهتمام.

أما إذا أراد هؤلاء القول بأن على الجمهورية الإسلامية الإيرانية أن تعدل عن تطبيق الحكم الإسلامي على مذهب أهل البيت عليهم السلام إلى طريقة أخرى فهذا أمر آخر!!!

ونقول في هذا الصدد إن الأقليات غير المسلمة في إيران الإسلام تنعم بالاهتمام والمتابعة الجيدة والحسنة من قبل النظام الإسلامي في إيران فكيف بالأفلية السنية المسلمة؟!!

وإذا كنتم تهتمون لهذه الدرجة بالأقليات فنحن نقول لكم أن طالبان لما حكمت في أفغانستان بدعم أمريكي مطلق أبادت الأقليات بصورة جماعية، وكفّرت المسلمين في مشارق الأرق ومغاربها، وعملت على تهديد الدولة الوحيدة المناوئة لامريكا وإسرائيل، فيما راح يتلهى زعماء طالبان مع النساء السافرات في أمريكا وهم يدّعون الحشمة في بلادهم!!!

إن إيران الإسلام ألحقت الضرر بأمريكا وإسرائيل، بينما طالبان ألحقت الضرر بالإسلام والمسلمين!!! إن إيران الإسلام حضنت الإسلام والمسلمين بينما طالبان شوهت الإسلام وفرقت وقتلت المسلمين!!!

أنه من العيب جداً اعتبار طالبان نموذجاً للحكم الإسلامي إذ أن هذا مما يضحك الثكلى في يوم حزنها!!!

وللأسف فإن بعض المسلمين ما زالوا يعيشون عقدة التمييز

المذهبي، وكأن اختيار نهج محمد وعلي وفاطمة عليهم الصلاة والسلام أمر معيب؟؟؟ واختيار نهج معاوية ويزيد ومروان أمر حسن؟؟!! فمن المسموح أن تتعبد بكل مذهب إلا أن تتعبد بمذهب أهل البيت عليهم الصلاة والسلام لأنه من الممنوعات!!! المطلوب الوحدة!!

* * *

عدوان الصهيونية على دول أخرى

تحدثنا فيما سبق عن الدليل على كون العدوان من ذاتيات الصهيونية في كل من:

١ ـ عدوانها على لبنان.

٢ ـ عدوانها على فلسطين.

ونتحدث الآن عن عدوان الصهيونية على الدول الأخرى، فإنه وبلا ريب لم يقتصر عدوان الصهيونية على لبنان وفلسطين، بل تعداهما إلى دول أخرى كسوريا ومصر والأردن وغيرها.

وقد هدفت الصهيونية من خلال هذه الاعتداءات على هذه الدول إلى:

١ ـ تكريس وجودها كقوة لا يتجرأ عليها.

٢ ـ منع وحدة العرب والمسلمين.

٣ ـ استفراد الدول العربية واحدة تلو الأخرى.

٤ ـ الهيمنة على المنطقة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وثقافياً.

٥ ـ تأمين مصالح الدول الكبرى الداعمة لها.

٦ ـ تغيير الطابعين العربي والإسلامي، وتحقيق إسرائيل الكبرى

عبر الشرق الأوسطية الجديدة.

ولا يخفى بأن العدوان اتسم بالحالة الدفاعية ضد هذه الدول الأخرى ـ بحسب الزعم الصهيوني ـ وذلك دفاعاً عن نفس العدوان، وهذا أمر غريب حقاً، إذ أن الكيان الصهيوني يفزع إلى العدوان دفاعاً عن العدوان.

والملفت في عدوان الصهيوانية على هذه الدول وغيرها، أن الحرب مع الصهيونية كانت لأجل فلسطين ومن ثم تحولت لأجل إخراجها من هذه الدول. والصهيونية تحتل مناطق من دول أخرى لتلهيها بالمناطق المحتلة الجديدة عن القضية المركزية أي «فلسطين».

وبالحق فقد حققت الصهيونية مآربها من العدوان على هذه الدول، حيث فرضت معادلة قوامها القوة والتفوق، وعلى إثرها تغيرت استراتجيات كل الدول العربية ـ ما خلا سوريا ولبنان ـ رأساً على عقب، ومن الأمور التي حققتها الصهيونية جرّاء عدوانها على الدول العربية الأخرى:

١ ـ استطاعت تحييد النظام المصري ـ دون الشعب ـ عن الصراع العربي الإسرائيلي، واستطاعت تهميش دوره الذي كان فاعلاً في الماضي، بل جعلته عرّاباً لكل إشكال المساومة والانهزام، وممهداً للطريق العربي المهزوم، فإذا ما رأينا النظام المصري جالساً مع أمريكا وإسرائيل نعلم بأنه سيأتي إلى الممانعين للهيمنة الأمريكية والإسرائيلية لتخويفهم وترجيفهم وتركيعهم، ولقد رأينا كيف أن لقاء شرم الشيخ وبسبب النظام المصري كان سبباً للاعتداء على لبنان ولحصول مجزرة

قانا؛ فالنظام المصري أضحى المنذر المشؤوم للجريمة الإسرائيلية.

٢ ـ استطاعت إدخال النظام الأردني في أسوأ منظومة خيانية، حيث غرق النظام الأردني في بحر الذل لإسرائيل، وها هو الملك الأردني يطالعنا بتحذيراته لشارون من إيران وحزب الله اللبناني.

والملك الأردني بالحقيقة ليس ملكاً، إلا على أزلامه في الأردن بينما هو أمام أقل موظف أمريكي في الإدارة الأمريكية مجرد خادم مطيع، وربما لا يفضل نادلاً في مقهى أمريكي!!

٣ ـ تسريع عملية الهرولة التقهقرية التخاذلية الاستسلامية لبعض الدول العربية.

٤ ـ إشتغال كل طرف عربي بقضيته الخاصة والعالقة مع الصهاينة، الأمر الذي أنساهم القضية الفلسطينية، ولا أقل من حذف أولويتها.

إن الإمام الخامنئي دام ظله ومن خلال هذا الإطار، يعتبر الاعتداء على فلسطين، يمثل الاعتداء على الدول العربية والإسلامية الأخرى.

ومن هنا نعلم كذب مقولة «**فلسطين تخص الفلسطينيين فقط**»!!! لأن القضية الفلسطينية تعني الجميع.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«وإن احتلال فلسطين واحد من أركان التآمر الشيطاني، الذي عمدت إليه قوى الهيمنة العالمي، ممثلة ببريطانيا سابقاً، وبأمريكا

حالياً، لإنهاك العالم الإسلامي وتمزيق صفوفه، إن أعداء الإسلام كانوا جادين دوماً في إقامة الحواجز القومية والمذهبية بين المسلمين، لإبعادهم عن توحدهم ومن ثمّ السيطرة على مقدرتهم»[١].

وعليه فمن المستغرب تلك اللغة التقاعسية عند بعض زعماء الدول العربية حيث لهج بعضهم قائلاً: «لسنا فلسطينيين أكثر من أبناء فلسطين»!!!

ومعنى هذا أننا لا دخل لنا بفلسطين، فالمدار على أهل فلسطين، فإذا تخاذل أبناءها فتكون القضية مخذولة، وإذا حارب أبناء فلسطين فليحاربوا وحدهم!!

والسؤال الجدير هنا: ماذا لو كان يقطن النبي ﷺ في فلسطين وطلب النصرة فهل نتركه ونقول هو في فلسطين ونحن في منطقة أخرى؟!!

فهذا ليس منطقاً صحيحاً لعدة أمور منها:

١ ـ إن فلسطين قضية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعرب والمسلمين، والاعتداء عليها واحتلالها يشكل معبراً للاعتداء على الدول الأخرى سواءً كانت عربية أم إسلامية.

٢ ـ إن فلسطين دولة عربية معنية تماماً بجامعة الدول العربية.

٣ ـ إن الواجب العروبي الذي يتغنى به العرب يقتضي نصرة العرب في فلسطين.

---

(١) سلسلة في رحاب الولاية، عدد ٣١٩، ص ٢.

٤ ـ إن القدس عاصمة فلسطين هي مدينة مقدسة لدى المسلمين ولا يمكن التخلي عنها بمجرد أن بعض الخونة تنازلوا عنها للصهاينة، فهل إذا باع السعوديون مثلاً مكة المكرمة، والكعبة المشرفة عندها نقول: فليبيعوها لأننا لسنا سعوديين أكثر من السعوديين أنفسهم؟!!!

٥ ـ إن الواجب الإسلامي يقضي بأن يهتم أبناء الإسلام بالمسلمين في فلسطين تبعاً للخطابات القرآنية والأحاديث النبوية المأثورة.

وبناءً على ما تقدم فإن المنطق الصحيح هو أن أرض الإسلام واحدة، وأمته واحدة.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«إذا كانت هناك أقلية صغيرة دفعتها الأطماع إلى الدخول في مفاوضات التساوم فهي لا تمثل الشعب الفلسطيني كي نقول: إننا لسنا فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين أنفسهم، لا زلت أذكر أن هذا الكلام قالته قبل أربع عشر سنة دولة عربية ـ لا أود ذكر اسمها ـ لم يكن يبدو أنها آيلة إلى الفساد بسبب ما لهم من ماض ثوري، وشعرت منذ ذلك الوقت أنها أخذت في الإنحراف، ثم أخذ انحرافها يتجلى أكثر فأكثر، ولا أريد الإشارة هنا إلى خصائصها الأخرى»[1].

إن أشد ما يؤسف له في هذه الأعصار أن تصّعد ألفاظ مسيئة إلى

---

(١) م. ن. عدد ٢٧١، ص ٢٠.

الروح الإسلامية الخلاّقة من جهة، وإلى الروح العربية الحرّة من جهة أخرى.

أما تلك المسيئة إلى الروح الإسلامية الخلاّقة فهي تلك النغمة الخبيثة المستخدمة الآن من قبل أعداء الداخل والخارج وقوامها: التمييز بين العربي والفارسي، والعربي والتركي، والعربي والأندونيسي، وكذا التفريق والتمييز بين السني والشيعي.

وأما تلك المسيئة إلى الروح العربية الحرّة فهي تلك النغمة الجرثومية القاضية بتمزيق وتقسيم البلاد العربية إلى أقسام بحيث أن الذي يكون في دولة هو لا يرتبط مع الأخرى من ناحية المشاعر، والأحاسيس، والتفاعل السياسي، والثقافي وغير ذلك، والجسر الوحيد الذي يربط الدول العربية ببعضها هو جسر الجنس واللهو.

وبتقديري فإن تحول الأنظمة العربية باتجاه الجمهورية الإسلامية في إيران إنما هو لأجل تبرير عجزها عن قتال إسرائيل بعدما ثبت إمكانية هزيمتها فعلاً وذلك على يد حزب الله المسلم في لبنان.

فالأنظمة العربية تريد إنشاء عدو وهمي وخيالي اسمه إيران الإسلام وهي تعلم علم اليقين بأن إيران الإسلام تحصر عداوتها بكل من يعادي العرب والمسلمين.

لقد تمخضت الأحداث في الشرق الأوسط، وبالتحديد في مجال الصراع بين العرب وإسرائيل؛ عن نموذجين اثنين هما:

النموذج الأول: نموذج خياني مخزي:

تمثل بما فعلته بعض الأنظمة العربية عبر ما يسمى بعملية السلام سيما مصر الخارجة بذل بموجب اتفاقية كمب ديفيد.

ولاحقاً فإن إسرائيل تتخذ المصريين درعاً واقياً لها من المقاومة الفلسطينية، وتقوم مصر بعمل مخابراتي دؤوب بغية حماية الدولة الصهيونية، وهذا ما تجلى الأن بوضوح في قضية بناء الجدار الغولاذي، على الحدود مع غزة المحاضرة.

النموذج الثاني: نموذج استبسالي مشرف:

تمثل بالمقاومة الإسلامية في لبنان حيث أنها أذلت إسرائيل باعترافها هي، وارغمتها على الاندحار المهين من معظم الأراضي اللبنانية بشروط المقاومين دون العكس، بل حتى عملية الاندحار الصهيوني لم تجرِ وفق المخطط الصهيوني بل جرت وفق القواعد التي أرستها المقاومة الإسلامية.

ولا ريب بأن للعالمين العربي والإسلامي الخيار بالاقتداء بأحد هذين النموذجين فإما الاستسلام لإسرائيل، وأما الاستبسال أمام إسرائيل؟؟!!

وإذا كانت دعوى النظام المصري بأنه يحتاج إلى مساعدة أمريكا ولذلك هو يعمل على إرضاء إسرائيل، فإن الصريح والصحيح في ذلك أن امريكا تأخذ ولا تعطي، وإذا أعطت قليلاً فإنها تأخذ كثيراً كثيراً، ويكفي أنها تسلب شرف وعزة الأمة وهذا يعني لصاحب الشرف الكثير!!!

ويكفينا قول الإمام الخميني قدس سره حيث يعتبر أمريكا بأنها مصاصة دماء الشعوب!!!!

وعلى أي فإن الإمام الخامنئي دام ظله عبرّ عن هذين النموذجين بقوله:

«في كامب ديفيد كان شرط انسحاب إسرائيل عدم إرسال جيش مصري إلى حيث شمال سيناء، ولكن ها هي إسرائيل القلقة من قدرة المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان تتوسل لإرسال الجيش اللبناني إلى الحدود الفلسطينية اللبنانية»[١].

ولا شك بأن انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان هو نموذج صارخ ومدوي يبكم كل متخاذل، وكل من يتعاطى مع الاستكبار العالمي تعاطياً خنوعاً ومطواعاً، ومن هنا فليصبح كل العرب وكل المسلمين خالد الإسلامبولي ليزيلوا الذل والاستسلام عن جبين الأمة.

وهذا النموذج المشرّف للأمتين العربية والإسلامية المتمثل بالمقاومة الإسلامية في لبنان، والتي يقودها عالم من نسل آل الرسول ﷺ؛ قد أحرج المنهزمين من العرب والمسلمين والصهاينة على حدّ سواء، فهو يقول للعرب والمسلمين:

إن أدنى قوة مع العزيمة والإرادة تفعل الكثير.

ويقول للصهاينة: لم يعد سجلكم مليئاً بالانتصارات بل ثمة انتكاسة ستتبعها عدة انتكاسات.

---

(١) م. ن. عدد ٣١٩، ص ٧.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«لكننا اليوم أمام نموذج أثبت نجاحه، واستطاع لأول مرة أن يحرر أرضاً محتلة دون أن يعطي أي امتياز لإسرائيل»(١).

أن الامتياز الذي أخذته إسرائيل من الدول العربية المنهزمة والمتخاذلة في آن، كان على صعيدين اثنين، أثّرا تأثيراً بالغاً على كليات الصراع العربي الإسرائيلي وهما:

الصعيد الأول: مادي: حيث المكتسبات المادية لإسرائيل، والخسائر المادية لهذه الدول.

الصعيد الثاني: نفسي ومعنوي: حيث أطبق اليأس على النفوس العربية جراء الهزائم المتتالية مع إسرائيل؛ الأمر الذي أدى إلى تضعضع هذه الدول والذهاب مع إسرائيل إلى حيث تريد، وكان من الطبيعي أن تنتج هذه الهزائم زعامات عربية قائمة على الذل والاستسلام.

إنه وجرّاء تغلغل الهزيمة إلى عمق النفوس، تجرأ البعض ليقول بأن إسرائيل لم تنهزم بوجه المقاومة الإسلامية في لبنان، بل غاية الأمر أن إسرائيل العملاقة هي التي انسحبت من لبنان لتنفيذ القرار ٤٢٥ وفقاً للشرعية الدولية، ويلاحظ على هؤلاء أنهم لم يستيقظوا من واقع الهزيمة، بل هم لا يريدون الإستيقاظ من واقع الهزيمة، وأنهم يعظمون إسرائيل أكثر من واقعها، وأنهم لا يريدون لأحد أن ينتصر على إسرائيل

---

(١) م. ن.

من أجل أن يبقوا على مناصبهم، ومن أجل أن لا يطالبهم المجتمع العربي بالاحتذاء بالمقاومة الإسلامية.

ويكفي أن هذا القول يمثل إهانة كبيرة لدماء الشهداء وللتضحيات الجسام التي بذلت لأجل إنجاح هذا الإنجاز، وبدلاً من أن يقف هؤلاء موقف الهازء بقدرات العرب والمسلمين عليهم أن يخلعوا لباس الذل المتمثل بعدم الجهاد ضد أعداء الأمة.

وعوداً على بدء، فإن عدوان الصهيونية الذي يعبر عن ذاتها، بشكل مطرد وتصاعدي، فإنه ومن أجل ذلك طال الدول المجاورة بغية تحقيق الأهداف المرجوة.

وذلك أن للصهيونية ثلاثة منطلقات عدوانية:

المنطلق الأول: النشأة والبداية، فهي عدوانية محضة بلا أي ريب.

المنطلق الثاني: الوسيلة. فهي عدوانية بتمامها.

المنطلق الثالث: الغاية: وهي أيضاً عدوانية.

ولقد اعتدت الصهيونية على البلدان العربية المحاذية لفلسطين ولبنان لأنها محط رحال أهدافها، حيث قيام إسرائيل الكبرى.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«ففي حرب ١٩٧٦ استطاع الإسرائيليون أن يحتلوا بمساعدة أمريكا والدولة الأخرى مساحات من أراضي مصر وسوريا والأردن وبعد حرب ١٩٧٣ استطاعوا بمساعدة تلك القوى أن يكسبوا نتيجة

الحرب لصالحهم، ويستحوذوا على أراض أخرى، إن هدف إسرائيل هو التوسع، وهي لا تقنع بأرض فلسطين وحدها، فهم في بداية الأمر كانوا يريدون الحصول على شبر واحد، ثم احتلوا نصف فلسطين، ثم احتلوا فلسطين كلها، ثم اعتدوا على الدول المجاورة لفلسطين، كالأردن وسوريا ومصر ـ واحتلوا مساحات من أراضيها، والهدف الأساسي للصهيونية حالياً هو انشاء إسرائيل الكبرى»[1].

وفي خضم الاعتداءات الصهيونية على هذه الدول، كان يقارن ذلك بجرائم وحشية قتلاً وتدميراً وحرقاً، وإبادة مدروسة للأسرى كما حصل مع الأسرى المصريين.

أنه وبلا شك وكما ذكرنا سابقاً فإن الهزائم التي مُني بها العرب ولدّت فيهم الاحباط حتى سلكوا هذا المسلك التقاعسي الاستسلامي، وكل ذلك بسبب الأنظمة العربية التي لم تصارح شعوبها بحقيقة الأمور.

ولا عذر لهم بهذا المسلك الذي سلكوه مهما كانت النتائج لأن العرب خسروا معارك ولم يخسروا حرباً والدليل على ذلك أن الحرب لم تنتهِ بعد، وهذا المسلك الإحباطي التقاعسي صار حبلى بالمفاجآت التخاذلية التي تطالعنا كل يوم لخدمة الصهيونية.

نعم لقد كانت الأنظمة العربية وما زالت هي السبب الرئيسي في الهزيمة لعوامل عدة منها:

---

(١) م. ن. عدد ٢٧١، ص ٢٤ ـ ٢٥.

١ ـ عدم صراحة وصدق هذه الأنظمة مع شعوبها.

٢ ـ عدم الثقة بالشعوب.

٣ ـ مراهنة هذه الأنظمة على قوى أجنبية خانتها في نهاية المطاف.

٤ ـ بُعد هذه الأنظمة عن الإسلام.

٥ ـ تخاذل وخيانة وعمالة بعض الأنظمة سراً مع الصهاينة.

٦ ـ التساهل العربي والإسلامي في مقابل الجد الصهيوني.

٧ ـ عدم القراءة الصحيحة للمعركة بظروفها وملابساتها.

٨ ـ وقوف الأنظمة العربية بوجه الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وذلك أثناء الاصطفاف المهول مع نظام صدام حسين.

وبالحقيقة فإن اصطفاف هذه الأنظمة مع صدام حسين بوجه الجمهورية الإسلامية في إيران كان مدهشاً، لأن هذا الاصطفاف لم يسجل مثله ولم يحصل ضد إسرائيل، وهو اصطفاف شبيه باصطفاف المشركين واليهود على محمد وآل محمد في معركة الخندق، وهنا اصطفت كل هذه الأنظمة ضد الدولة الإسلامية الحاملة لشعار محمد وآل محمد صلى الله عليهم أجمعين.

الفصل الثالث

التبليغ

التبليغ

التبليغ يعني الايصال في اللغة العربية[١]، وفي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾[٢].

وللتبليغ مرادفات جمة كالتبشير، والإنذار، والتحذير، والإرشاد، والدعوة، والهداية، والتبيين والبيان.

ومساحة التبليغ تشمل الأبعاد الإنسانية بكاملها، فإن الإنسان يمثل ساحة أساسية للتبليغ لأنه المرتجى من الهداية بعد إيصال الحقيقة إليه.

أما فيما يخص مراحل التبليغ فإنها تبدأ من النفس وتنتهي بآخر إنسان يمكن أن يُلتقى به.

ولا شك ولا ريب بأن الثقة تعمر قلوبنا حيث أن ما نعتقده ونؤمن به هو الصواب، لأن الإسلام الأصيل المنزه عن كل شائبة أو عائبة، يحمل في روحه ومظهره أجنحة الحق، التي نطير بمعيتها إلى واحة السعادة الكاملة.

---

(١) المصباح المنير للفيومي، ص ٦١، ولسان العرب، مادة بلغ، ج ٨، ص ٤٢٠.

(٢) الأحزاب، ٣٩.

بيد أن الأساليب التي نمتشقها سيفاً، ونتخذها درعاً لنا في زمن العصرنة المتهورة ـ وللأسف ـ ليست مواكبة بالشكل المطلوب لعظمة نور الإسلام الأصيل، بل هي بعيدة عن عالم التخطيط، والبرمجة، وهذا خطأ كبير قد يشوه الحقيقة تماماً كما تشوه الطابعة الخربة الكتابة السلسة والشيقة.

وللأسف مرة أخرى فإن الأساليب المميزة والفتاكة التي تخدم المضمون السيء، قد تجعل الرديء برّاقاً ولامعاً تماماً كبياض الثلج الذي يكسو بقعة النفايات، وهذه حقيقة ثابتة التمسناها من قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[1].

فلا فرق بين المحق والمبطل في عملية الأخذ بالأسباب والمسببات، فالحياة مركب يرتقيه حسن القيادة.

مرة ثالثة لن نقول للأسف لأن موضوع التبليغ هذه المرة قد أُسقط على الخبير به، والمعني بإدارة عجلته لجهة توظيفه في خدمة الحق والحقيقة، فلقد شاءت القدرة الإلهية أن يأخذ موضوع التبليغ حيزه المتميز في فكر وقلب الإمام الخامنئي دام ظله، لينقله من وهدة التقهقر إلى قمة السطوع والتنور.

ولقد ركّز الإمام الخامنئي دام ظله على هذا الأمر كثيراً، وجعله من صلب اهتماماته بالرغم من تراكم الهموم والشجون على شخصه المبارك.

---

(١) الإسراء، ٢٠.

وفيما أنت تقرأ ما جلاّه وبلوره حول «التبليغ» تستشعر بحرقة بالغة في صدره ممتزجة مع أمل وتفاؤل كبيرين.

* * *

التبليغ أساس الدين

إن كل باحث عن أرضية نشوء الأديان وانتشارها، يدرك تمام الإدراك بأنها تولّدت من رحم التبليغ وانتشرت بفضله.

وإن أي نبي يصطفيه الله عز وجل للنبوة ويختاره لحمل الرسالة يبدأ نشاطاً تبليغياً صرفاً، وبطبيعة الحال فإن أدوات هذا التبليغ تعضده وتسانده فضلاً عن الدعامة الإلهية.

إلا أن الأساس هو التبليغ، وانطلاقاً من هذا اعتبر الإمام الخامنئي دام ظله أن الدين الإسلامي هو دين تبليغي بالأصل.

يقول دم ظله:

«إن الدين الإسلامي هو دين التبليغ»[١].

بل إنه لا سبيل لقوة الإسلام ولا لانتشاره إلا التبليغ، ولولا التبليغ الذي كان قوياً في السابق لما عمّ نور الإسلام آفاق العالم، ومن هنا فإن من السفه والجهل القول بأن الإسلام قام على السيف، لأن السيف إن كان له دور فإن دوره في تحريض الناس على الإسلام وتنفيرهم منه.

---

(١) التبليغ في الإسلام، ص ٨.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«فإن السبيل الأساس للإسلام هو التبليغ... لاحظوا، أن التبليغ للإسلام عمّ آفاق العالم، وحالياً كلما اتجهتم نحو المناطق الواقعة شرق إيران، تجدون أغلب المسلمين قد أسلموا بالموعظة والتبليغ والدعوة قبل السيف، ما الذي قاد إلى الإسلام كل هؤلاء المسلمين في الصين؟ أكان التهديد بالسيف؟ لو كان لسيف السلطان محمود الغزنوي من تأثير، فإن تأثيره تجلى في تحريض الناس ضد الإسلام»[(١)].

لا ريب بأن الإسلام يريد لجميع الناس أن يصيروا في أحضان النور والحقيقة، ويريدهم أن يعيشوا تحت أشعة شمس الحقيقة والهداية، ولهذا فإنه في الإسلام طريقان أحدهما أصلي والآخر فرعي هما:

الطريق الأول: التبليغ باللين والحسنى. وهذا هو الأصل.

الطريق الثاني: الشدة لإزالة الموانع التي تمنع من احتضان الحقيقة وتقبلها.

وهذه الشدة تتمثل بالجهاد في سبيل الله عز وجل، وهو ليس موجهاً إلى أحد طالما لا يعيق إيصال الحقيقة الساطعة للإسلام، أما إذا أراد أن يطمس الحقيقة فإن الجهاد يوجه بوجهه، لا لأنه لم يختر الإسلام بل لأنه يهاجم الإسلام.

فالجهاد يوجه إذن بوجه كل من يعمل على وضع المعوقات

---

(١) م. ن. ص ٨ ـ ٩.

والحواجز والموانع أمام الحق والحقيقة.

ولهذا فإن الجهاد في الإسلام ليس أمراً اعتباطياً، بل هو من أشرف الأعمال، ولكن هذا الجهاد له هدف وغاية وهي إيصال الحقائق والهداية فإذا ما تحققت هذه الغاية فلا حاجة إلى إعمال الجهاد من رأس، ولهذا لو أننا افترضنا عدم وجود من يعيق انتشار الحقيقة في العالم بأسره، لما كان للجهاد وظيفة تُذكر.

ومن هذا المنطلق كان رسول الله ﷺ يدعو الأعداء إلى الإسلام قبل حربهم، وكذا كان يفعل الإمام علي عليه السلام.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله بهذا الصدد:

«صحيح أننا في الدين الإسلامي المقدس لدينا جهاد من أجل تحقيق الأهداف الإلهية المقدسة، إلا أن الأصل هو التبليغ والتبيين»[1].

نعم فالجهاد يأتي بعد اليأس من فائدة التبليغ، ومع من؟!

مع أولئك الظلمة المعتدين الذين يبتغون تعطيل العقل والفكر ليعطوا لأنفسهم دور الريادة اللاعقلانية.

وهؤلاء بالحقيقة أشبه بذاك الرجل المعتدي الذي يمنع وصول الماء إلى العطاشى، والدواء إلى المرضى، والعلم إلى الجهلة، وهؤلاء لن ينفع معهم التبليغ لأنهم وطنّوا أنفسهم على عدم قبول الحقيقة، فلا ينفع في ردع هؤلاء إلا الجهاد والقوة.

---

(١) م. ن. ص ٨.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«فللجهاد فلسفة أخرى، الجهاد لمواجهة الطغاة والظلمة وموانع التبليغ وانتشار نور الإسلام»[١].

أن هذا التوصيف من قبله دام ظله هو عينه ما كان عليه النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام في سيرتهم العطرة، حيث أن عملهم عليهم الصلاة والسلام كان منصباً على نشر كلمة التوحيد، وكان الطريق الأساس لذلك الكلمة البليغة، والموعظة الحسنة، والدعوة بالتي هي أحسن، أما الجهاد فقد كان يحل ثانياً تبعاً لعدم استجابة القوم.

ولهذا فإن من يستخدم القوة والسيف دون سبق عملية التبليغ فهو يحارب الإسلام ولا يعمل لأجله.

وذلك لأن من يؤمن بالقوة لا يخلو:

أ ـ إما أن يؤمن ظاهراً ويكفر باطناً، وهذا الإيمان الظاهري يضر ولا ينفع خاصة في الأوقات الحرجة تماماً كما حصل مع المنافقين في بدء الدعوة الإسلامية.

ب ـ وإما أن يؤمن مؤقتاً وبعدما يزول تهديد السيف فإنهم أسبق الناس إلى الطعن في هذا الذي آمنوا به.

وهذا بخلاف من يؤمن بقناعة تامة، وعن رأي ثابت، فإنه ليس فقط سوف يحافظ على إيمانه وتمسكه بهذا الإيمان، بل أنه سوف يضحي من أجل هذا الإيمان.

---

(١) م. ن. ص ٩.

ولذا المطلوب القناعة التامة والسيف لا يأتي بهذه القناعة الراسخة، وحده التبليغ الحسن يضمن ذلك، والمطلوب القلب المطمئن بالإيمان والسيف يُرهب القلب ولا يجعله مطمئناً.

ولهذا فإن الذين أعملوا السيف هم الذين تسببوا بوجود خصوم وأعداء للدين، لا أنهم كثّروا نصراء الدين.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«إن سيوف المغول في الهند وأكبر شاه وجهانكير شاه وأورنك زيب وأمثالهم، ـ وهم معروفون والآن يتفاخر البعض بهم ـ كانت منشأ لظهور السيخ في الهند، والسيف لا يجعل المرء مسلماً في أعماق قلبه، فمسلموا الهند لم يسلموا بالفتح الجهادي بل الدعوة»[١].

إن التبليغ له صفة إنسانية لأنه يجعل من المبلّغ آخذاً بيد الإنسان الجاهل إلى العلم وهذا عمل إنساني، ويجعل المبلغ آخذاً بيد الإنسان الضال إلى الهداية وهذا عمل إنساني خلاّق، بل هذا من أشرف الأعمال الإنسانية.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«إذ أن له ـ أي التبليغ ـ صفة علماء الإسلام، وزعماء الشيعة على امتداد التاريخ، له صفة الهية (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وهو ذو صبغة إنسانية أيضاً لأنه ينتهي إلى الأخذ بقلوب وعقول المحرومين من العلم والمعرفة»[٢].

---

(١) م. ن.

(٢) سلسلة في رحاب الولاية، عدد ٢٠٣، ص ٢.

التبليغ يعني إيصال الحقيقة

بما أن الإسلام دين الحق والحقيقة والوضوح، فإن الدعاة إليه وأهل التبليغ ورواده، هم يكشفون عن هذه الحقيقة، ويحكون عنها بكل صدق وأمانة، وعلى هذا فإن الدور المنوط بهم مقتصر على هذا المورد بلا زيادة ولا نقصان.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«فنحن لدينا حقيقة وضاءة اسمها التوحيد والإسلام، وقد حجبتها سحب الجهل والعداء، التبليغ يعني توصيل تلك الحقيقة إلى أذهان الناس وعقولهم»[(١)].

ولا شك بأن الحقيقة حتى تصل إلى الناس فهي إما تصل من دون مانع وهذا هو المطلوب ويكون عمل المبلّغ هنا سهلاً، وإما أنها لا تصل حتى يُعمل على إزالة الموانع وهنا يكون دور المبلّغ ليس بالسهل بل يحتاج إلى مزيد تعمّل حتى يتمكن من إزالة الموانع أولاً، ومن ثمّ يعمل على إيصال الحقيقة ثانياً.

والعمل الشاق والمضني الذي يتكفل به رواد التبليغ، هو العمل

---

(١) التبليغ في الإسلام، ص ٢٦.

الذي يقوم به هؤلاء عند وجود جبهة مضادة تعمل على تعطيل أعمالهم، وإحباط جهودهم من خلال نشر الكفر والإلحاد والجهل بأساليب مشوقة.

ولهذا فإن المطلوب من رواد التبليغ فهم كل الملابسات والظروف المحيطة بالناس حتى يضمنوا وصول الحقيقة المتمثلة بالإسلام إلى الأذهان، ولا بد من الحرص الشديد على إيصال الحقيقة إلى القلوب والأذهان، واليقين بذلك لا مجرد الظن والاحتمال، لأن الوصول إلى هذه الغاية ليس أمراً مزاجياً بل هو واجب.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«والتبليغ معناه الإيصال، ولكن ما هو الشيء الواجب إيصاله؟ إنه إيصال لتلك الحقائق والمعاني إلى أذهان وقلوب المخاطبين»[(١)].

علماً أن هذه الحقيقة الواجب إيصالها لا بد من الإتيان بها كاملة من دون تجزئة أو انتقاء، أو زيادة أو نقصان، وذلك لأن ما يستبطنه الإسلام يشوه فيما لو زيد عليه أو نُقّص منه، بل إن ذلك بدعة محرمة عقوبتها النار.

ونحن ندرك بأن تأكيد الإمام الخامنئي دام ظله على ضرورة أن يأتي التبليغ بالحقيقة كاملة، إنما يأتي صداً لأولئك الذين ينتقون من الحقائق ما يعضدهم ويخدم أهواءهم، وبالوقت عينه هم يسكتون عن الحقائق الأخرى التي لا تخدم أهدافهم.

---

(١) سلسلة في رحاب الولاية، عدد ٢٠٣، ص ٢.

ومن هذا المنطلق أكّد الإمام الخامنئي دام ظله على مهمة الشهادة في عملية التبليغ، فإن التبليغ هو شهادة صدق، والمبلغ يمثل دور الشاهد الحقّاني النزيه والصادق، لا دور شاهد الزور، والمتحايل في القضايا والأمور.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«التبليغ الديني لا يجزىء الحقيقة وإنما يكشفها كاملة، ولو لم يستمرئها المخاطب، التبليغ الديني يبين الحقيقة كما هو دون زيارة أو نقصان، وبعيداً عن الرغبات والأهواء، وبكلمة أخرى إن المبلغ الديني يؤدي الشهادة مثل الشاهد الصادق، فيكشف عن الحقيقة ويضعها أمام المنظار»[1].

أن الطرح الأقوى عند الإمام الخامنئي دام ظله يتمثل في التمييز بين التبليغ بالإصطلاح المعاصر الآخذ بالزخارف بمعزل عن المعنى والمحتوى، وبين التبليغ بالاصطلاح القرآني المرتكز على الحقيقة الجوهرية، والمحتوى المليء، والمضمون الثمين.

فالمبلغ بالمصطلح المعاصر هو العامل على إيصال ما يريد سواءً كان مضمون ما يريد إيصاله صادقاً أم كاذباً، كاملاً أم جزئياً، مفيداً أم ضاراً.

أما المبلغ بالمصطلح القرآني فهو يهدف إلى إيصال ما يريده الحق لا ما يريده هو، وهو يهدف إلى إيصال الحقيقة كما هي من عند الله عز وجل.

---

(١) التبليغ في الإسلام، ص ٢٥.

التبليغ منوط باشرف الناس

بعدما ترشحت إلى الأذهان ترهات قائلة:

بأن التبليغ ليس مهمة الفقهاء الكبار، والحكماء الأفذاذ أو من يضاهيهم في الشأن فضلاً عمن هم أرفع شأناً.

جاء فكر الإمام الخامنئي دام ظله ليدحض هذه المزاعم والشبهات وليثبت بأن التبليغ منوط بهم أيضاً بل إن لهم الأولوية، بل هو من وظائف الأنبياء أيضاً.

قال دام ظله:

«فالتبليغ الذي عبّر عنه القرآن الكريم بكلمات من قبيل البلاغ، والبيان والتبيين، وما شاكلها يدخل في عداد الوظائف المقدسة. وهو من جملة واجبات الأنبياء والعلماء والمفكرين والمصلحين»[١].

وهؤلاء بطبيعة الحال لم يتوانوا عن وظيفة التبليغ والحرص تمام الحرص على ذلك الدور ولهذا فإننا:

«نحمد الله على أن علماء الإسلام حرصوا في القرون الأخيرة على هذه المهمة أشد الحرص ولم يتركوا هذا القبس الوهاج ـ أي قبس

---

(١) سلسلة في رحاب الولاية، عدد ٢٠٣، ص ٢.

تبليغ الدين والأخلاق والقيم المعنوية ـ يخبو لهيبه»[١].

ويظهر جلياً أن حرص علماء الإسلام على مهمة التبليغ، إنما لكون التبليغ ممن له صفة إلهية، وصفة إنسانية.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«التبليغ الذي أمر به الإسلام، وحرص عليه علماء الإسلام وزعماء الشيعة على امتداد التاريخ له صبغة الهية»[٢].

هذا ولكي تتركز فكرة كون التبليغ منوط بأشرف الناس تعمّد دام ظله إلى ذكر شواهد على ذلك بعد حثه دام ظله على ضرورة أن يتصدى لهذا العمل أشرف الناس.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«إن ارتقاء المنبر والتحدث في أمر الدين من أشرف الأعمال، ويجب على أشرف الناس وأعلمهم، وأوعاهم بالقضايا الإسلامية، وأكثرهم عملاً بالأحكام الشرعية أن يسيروا بهذا الطريق ويعتبروه فخراً لهم... فمثلاً كان الشيخ جعفر الشوشتري العالم الأخلاقي الكبير صاحب منبر، وكان المرحوم الحاج السيد رضا الهمداني الواعظ صاحب كتاب هدية النملة واعظاً وخطيباً دينياً، وهكذا كان ابنه السيد ميرزا محمد الهمداني الذي كان من العلماء الكبار، وكذا أمثالهم»[٣].

---

(١) م. ن.

(٢) م. ن.

(٣) التبليغ في الإسلام، ص ٧.

أساليب التبليغ

في السابق كان علماء الإسلام يعتمدون على الجهود الشخصية في إيصال أفكار الإسلام إلى الناس.

فقد يهاجر عالم ما إلى منطقة معينة، فيعمل على نشر الإسلام بأسلوب يجده مناسباً، وهذا يحكي عن أصالة وإبداع، إذ أن مبلغ التراث العلمي الموجود لدينا، وانتساب الكثير إلى الإسلام، إنما هو نتاج جهود شخصانية محضة من قِبل علماء الإسلام في السابق.

لكن عصرنا الحاضر يحتاج إلى المأسسة والتنظيم، واشتراك الجهود، واجتماع الأفكار، ومنهجة الطريق ليتموضع التبليغ في إطاره اللائق.

لقد بات من الواضح أن الثورة الفكرية المعاصرة، بمؤسساتها الكبيرة، وبإمكانياتها المهولة، وبطاقم عملها العملاق، قد بهرت العقول، وجذبت القلوب إليها ولكن عن طريق الباطل.

ومن الواضح أن هناك من لم ينجذب إلى هذه الثورة الغربية إلا بمقدار ما ينفع البشرية، إلا أن حركته لم تعمل على مواجهة الثقافات الفاسدة، بل اتخذت صفة الجمود والركون.

وأمام هذا الواقع انطلقت فئة مخلصة واعية لم تنكر الثورة

الفكرية والعلمية المعاصرة، ولم تتخلَ عن تراثها، وبالتالي فهي لم تجمد حركتها، بل فسرت هذه الثورة المعاصرة وفق الرؤية الإسلامية القائمة على التمييز بين ما هو حق وما هو باطل، وما هو منسجم مع الفكر الإسلامي، وما هو غير ذلك. وهذه الفئة الواعية انطلقت لخدمة الحق والحقيقة من خلال النظرة الثاقبة إلى الواقع المعاش.

إن الإمام الخامنئي دام ظله يدعو هذه الفئة الواعية والمخلصة إلى اختيار منهج المؤسسة والبرمجة والتخطيط.

وبما أن المؤسسة موجودة والواقع ليس مكتفياً بما تفيضه، فالمطلوب إصلاح المؤسسة وتطويرها من خلال الشكل فقط، لأن مضمونها سليم للغاية، وهذه المؤسسة هي الحوزة الدينية كما لا يخفى.

إن الإمام الخامنئي دام ظله عرض أساليب التبليغ من خلال وجهتين هما:

الوجهة الأولى: تشخيص المشكلة:

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«إن انحسار النشر والتبليغ إحدى المشاكل التي تعاني منها الحوزة، إذ لا تصدر الحوزة ذلك المقدار الكافي من الكتب والصحف والمجلات، ولا ترسل العدد الكافي من المبلغين، فثمة طلب دائم إلينا من أنحاء العالم كافة (إفريقيا وأوروبا وآسيا) أن نرسل إليهم العلماء»[1].

(١) م. ن. ص ٦٠ ـ ٦١.

ويقول دام ظله:

«لا توجد مواد تبليغية مثل تصنيف البحوث وتشخيصها لكل فئة من المستمعين فعلى سبيل المثال، إذا أردتم التوجه إلى بلد معين ستسفيدون من مطالب معينة لا تنفعكم في بلد آخر، وهكذا فإن ما تحتاجون إليه في القرية، يختلف عما تحتاجون إليه في المدينة الكبيرة، وفي طهران والجامعة والبيئة الطلابية تتباين المقتضيات عن مجلس تعزية نسائي، إن هذا التصنيف غير موجود في الحوزة»[1].

الوجهة الثانية: إيجاد الحلول:

يقول دام ظله:

«يتعين على المؤسسة التبليغية في الحوزة إيجاد الاستعدادات الأولية والعامة للمبلغين عبر دورات قصيرة، يطلعون خلالها على المسائل الضرورية في التبليغ»[2].

وقال دام ظله:

«يجب على الحوزة طي طريق آخر إلى جوار الطريق الأول «الأكثر عمومية» وذلك من خلال تأسيس قسم للتبليغ وتخصيص جزء من إمكاناتها له»[3].

إن الإمام الخامنئي دام ظله يريد من وراء ذلك كله تنظيم عملية

---

(١) م. ن. ص ٥٦.

(٢) م. ن. ص ٦٥.

(٣) م. ن.

التبليغ، وإبعادها عن الفوضى والتسيّب.

يقول دام ظله:

«يتعين علينا القيام بعملين: أحدهما: تنظيم التبليغ بأفضل نحو، فبالتنظيم نستفيد من القوى مهما صغرت في موردها المناسب»[١].

وأما بالنسبة إلى المبلّغ فإنه لا بد وأن يتحلى بصفات جمة أهمها على الإطلاق صفة إصلاح النفس.

يقول دام ظله:

«إذا لم يهذب المبلغ نفسه ويصلحها، لم يقدر على إصلاح غيره»[٢].

أما بالنسبة للصفات الأخرى فلا بد للمبلّغ أن يتحلى بالتهذيب، والإخلاص، والوعي الديني، والإلمام الثقافي، والورع والزهد، والأدب والرحمة، والتدبير والجد، والتقوى وغيرها.

* * *

(١) م. ن. ص ٦١.

(٢) م. ن. ص ٢٩.

وسائل التبليغ

لكل عصر وسائله وأدواته، ووسائل هذا العصر مختلفة عن العصور المضمحلة.

والدعوة إلى اتخاذ وسائل جديدة من قِبل الإمام الخامنئي دام ظله، جاءت حاكية عن حقيقة التغيير التي طرأت على البشرية.

بيد أن من اللافت جداً تأكيده دام ظله على بقاء المنبر مع أنه وسيلة قديمة، ونفى دام ظله الشبهة القائلة بأنه مع وجود الوسائل الإعلامية الحديثة فلا داعي للمنبر.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«يظل المنبر محافظاً على صورته التقليدية والصحيحة، ولا نعني بالتقليدية أن تبقى جمع خصائصه مشابهة لخصائص المنبر في الماضي»[١].

وعلى كل حال، فإن الوسائل التي حث سماحته على استخدامها للتبليغ، تقسم إلى قسمين: تقليدية وحديثة، إلا أن الوسيلة التقليدية ينبغي أن تؤخذ بطريقة عصرية، وهذه الوسيلة هي «المنبر».

---

(١) م. ن. ص ٧.

فالمنبر يعطي فائدة عملية مرجوة، لأنه يجعل الخطيب مواجهاً للمخاطب ومؤثراً فيه، نعم لا بد من إحاطة الخطيب علماً بأن هذه الوسيلة لم يستغن عنها حتى في الغرب.

أما القسم الثاني الحديث، فهو الإعلام المعاصر من قبيل التلفاز، والإذاعة، والصحف والمجلات وغيرها، بالإضافة إلى المسرح، والأفلام السينمائية المعاصرة.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«لا تنجز هذه الأعمال بين ليلة وضحاها فإذا بدأتم اليوم بالعمل في هذه المجالات وقمتم بإنتاج البرامج الصوتية والتصويرية وبخاصة التصويرية، فربما تتوافر للحوزة هذه المقدرة بعد عشر سنوات، لكننا نفتقدها حالياً ولا نستفيد من الفن»[١].

ويقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«ينبغي الاستفادة القصوى من الفن، وأعني الاستفادة من الفنانين الموجودين»[٢].

لا شك أن للتبليغ في عصرنا الحاضر فرصة ثمينة ينبغي استغلالها على أكمل وجه، ويكفي بهذه الفرصة قيمة أن ما يوجد لدينا من إمكانيات يعد حلماً لمن كان قبلنا، فمثلاً كان النبي ﷺ يبحث عن

(١) م. ن. ص ٥٥.

(٢) م. ن. ص ٥٣.

رجل يسمع له، أما الآن فالناس تتجمهر حول المبلغ من دون أي مشقة.

يقول دام ظله:

«أخوتي الأعزاء ثمة فرصة عظيمة»[(١)].

❋ ❋ ❋

(١) م. ن.

الخاتمة

لقد تم إعادة تصحيح الكتاب في أربعينية الإمام الحسين ﷺ سنة ١٤٣١هـ الموافقة ذاتاً وعرضاً أشكره تعالى على التسديد والتأييد وأسأله الحشر مع محمد ولله الأطهرين، والحمد ل رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الأطهار.

***

أبرز المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإمام الخميني الخطاب الثوري والدولة الثورية
- اتفاق غزة أريحا!! ماذا بعد؟؟
- أمريكا أصل الإرهاب
- أمركة الأمم وصدام الحضارات
- تحف العقول عن آل الرسول
- التبليغ في الإسلام
- التبليغ والمبلغون
- التبيان
- الجامعة بين الأصالة والتغرب
- سقوط بغداد
- شمس الولاية
- العولمة والعالم
- الغزو الثقافي

- في رحاب الولاية
- قصص وعبر من حياة العلماء والفقهاء
- قصص وعبر من حياة الإمام الخميني
- الكشكوك في المعقول والمنقول
- لسان العرب
- المصباح المنير
- الموجز الجلي من سيرة القائد الولي
- مختصر شمس الولاية
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم
- الموسوعة الميسرة للآديان.
- نداء الحرية
- هذا قائدي فاعرفوه
- الوجيز من سيرة الإمام الخميني
- الوصية الخالدة

بالإضافة إلى العديد من المجلات كمجلة «بقية الله»، ومجلة «الحياة الطيبة»، ومجلة «الكلم الطيب»، ومجلة «نور الإسلام»، والعديد من الصحف والجرائد.

من كتب المؤلف

- ابتلاءات المجتمع المعاصر
- الإمام الخامنئي ورؤاه المعاصرة (هذا الكتاب)
- الآداب الأربعمائة وشرحها
- الأدوية النبوية الشافية
- أهل البيت والأركان الأربعة
- البرنامج العبادي للأيام والشهور الأوراد والاذكار العرفانية
- تفسير أحلام النساء وقصص رؤية الزهراء.
- تفسير الأحلام على هدي أمير المؤمنين
- تحقيق الآمال في زيارات النبي والآل
- الحسين لكل المسلمين والعالم
- رحلة الإنسان من الولادة حتى البرزخ والقيامة
- الزواج كيمياء المحبة
- الشرح الجلي لآداب الإمام علي
- علم الغيب في قصص المعصومين
- العوالم الثلاثة
- الغذاء النبوي الشافي
- قصص وعبر من حياة العلماء والفقهاء

- قصص وعبر من حياة الإمام الخميني
- قصص ا لمسيح وأحاديثه في المصادر الإسلامية
- الكشكول في المعقول والمنقول
- كف نتحصن بالقرآن ونتسلح بالقرآن
- الكنز واللؤلؤ في علم الغيب
- مائة نصيحة للزوج السعيد.
- مائة نصيحة للزوجة السعيدة
- المرأة في ظل العولمة
- معجم الصواب والخطأ في اللغة العربية
- الموجز الجلي من سيرة القائد الولي
- الموسوعة الميسرة للأديان
- الموسوعة الميسرة للمذاهب الإسلامية (بالإشتراك مع السيد جواد الصافي)
- الموسوعة العلمية للأحلام الليلية والنهارية
- المفيد في تفسير القرآن المجيد
- نساء يقتدى بهن
- هاروت وماروت ويأجوج ومأجوج
- الوجيز من سيرة الإمام الخميني
- يأجوج ومأجوج في عصر الظهور

الفهرس

الفصل الثاني: الصهيونية

الفصل الثالث: التبليغ